شرح

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

شرح

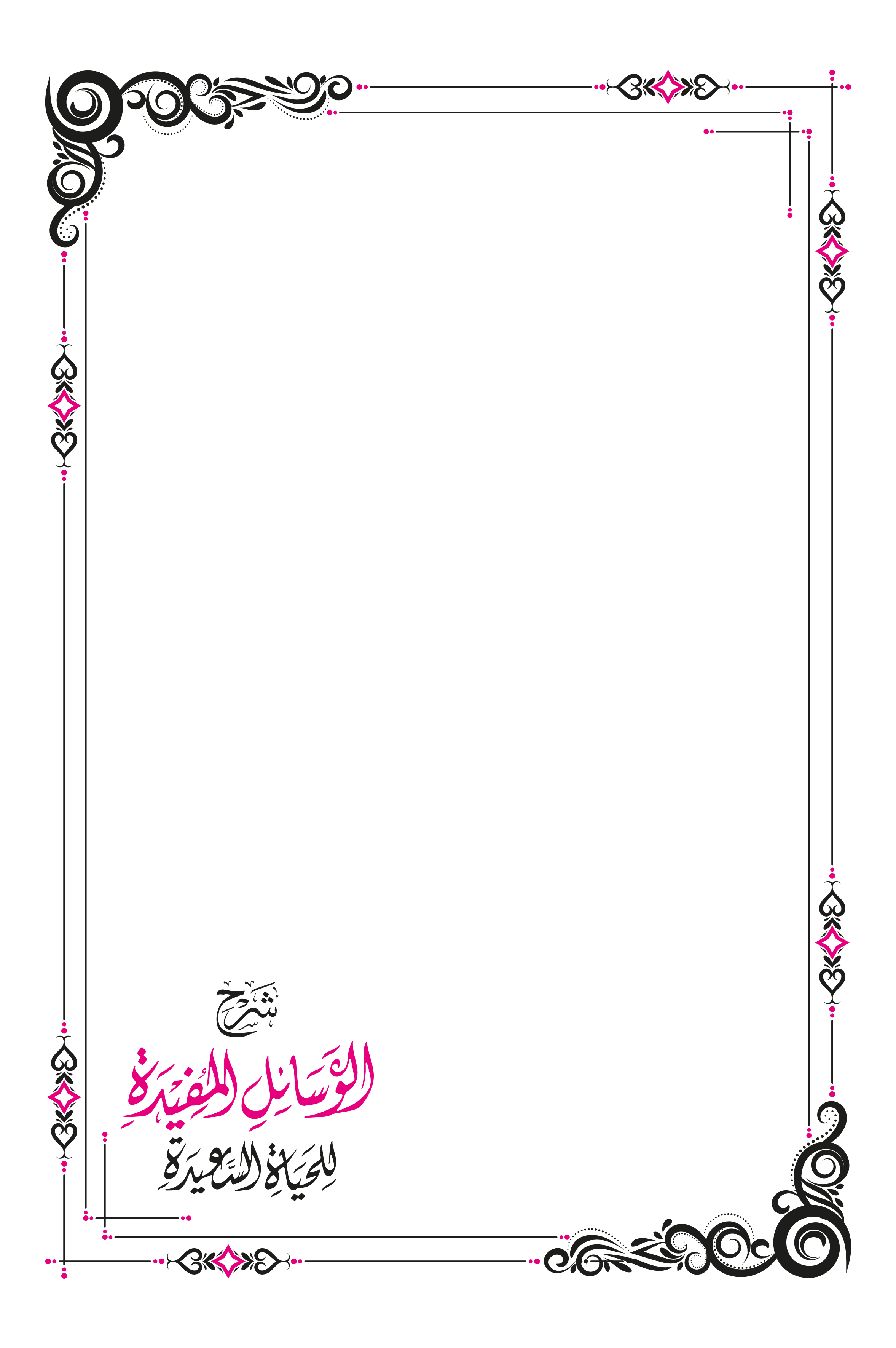
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان

للنشر والتوزيع


شرح
الوسائل المفيدة
للحياة السعيدة



الطبعة الثانية

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع - ٢٠٢٢/١٤٤٤

ردمك : ٣-٧٣-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨

الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠٢٢

Dar Al-furquan Edition. 2022

ISBN: 978-9931-616-73-3

Dépôt Légal: 2eme semestre. 2022

ISBN 978-9931-616-73-3

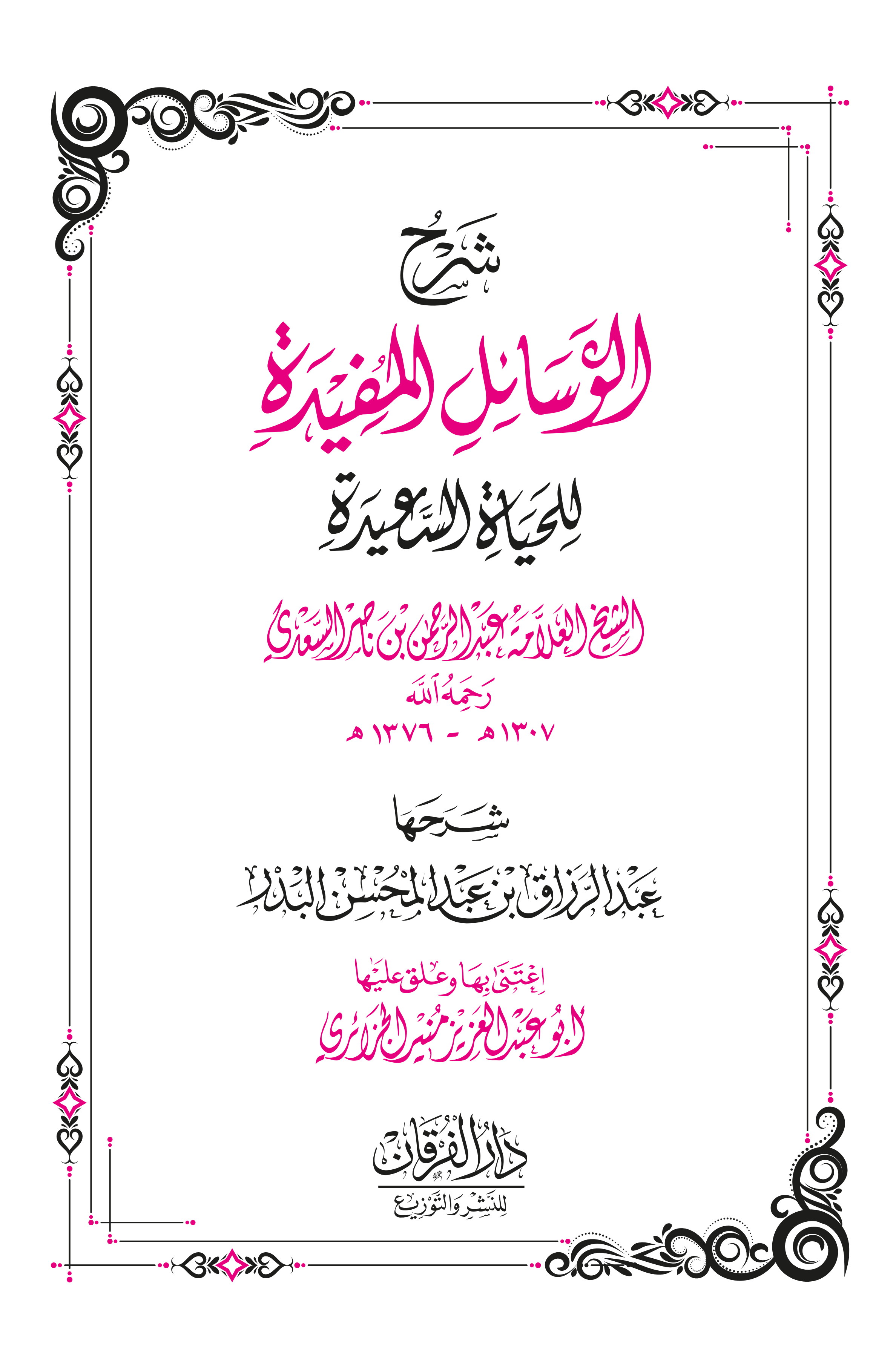
9 789931 616733

دار الفرقان للنشر والتوزيع

٢٠ شارع أحمد حسينة باب الوادي - الجزائر العاصمة - الجزائر

00213 (0) 552 48 01 19 | 00213 (0) 556 96 58 10

dar.alfurquan@gmail.com



شرح

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي

رحمه الله

١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ

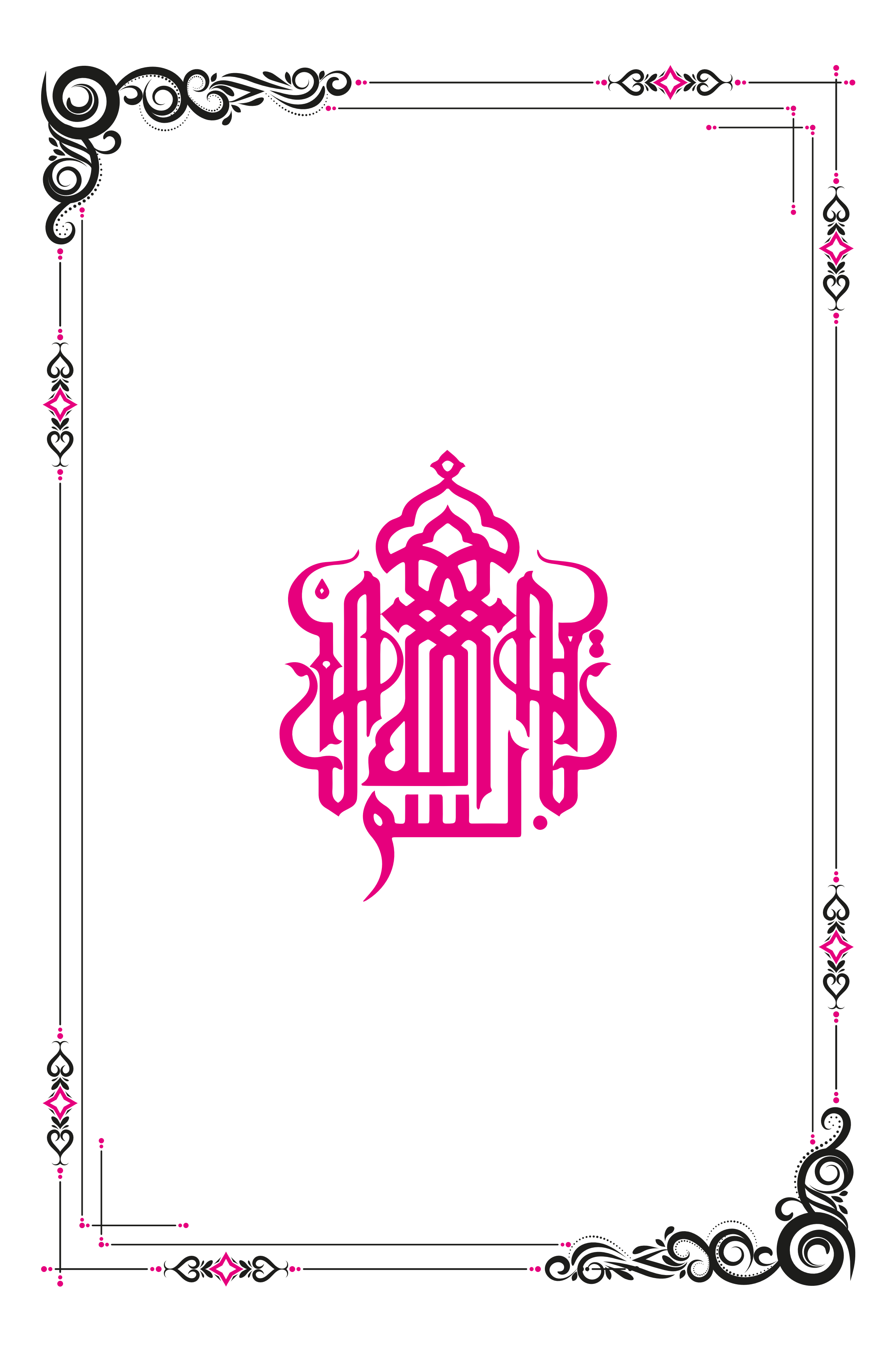
شرحها

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري

دار الفرقان
للنشر والتوزيع





مقدمة المعتني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له؛ إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وخالق الخلق أجمعين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

السّعادة وما أدراك ما السّعادة!

هي تلك الأمنية التي يسعى كل إنسان لتحصيلها.. وكل واحد يسارع لتحقيقها.. لا فرق في ذلك بين صغير وكبير.. غني وفقير؛ بل كلهم أجمعون لأجلها يتنافسون، وعلى طريقها يتسابقون، بل وفي حلبتها يتقاتلون، ولكن في تحديدها يختلفون..

فبعضهم جعلها في المال والثروات، فأخذ يُمضي يومه في التجارات، وليله في الحسابات، والآخر يقضي السنين في المدارس والجامعات، ليُوظّف بأرفع المرتبات..

وآخر جعلها في النساء، فبحث عن الحسناء، وآخر جعلها في بناء أفخر القصور والعقارات، واقتناء آخر وأجمل السيارات، وغيرها من الشهوات:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾﴾ [سورة آل عمران الآية: ١٤].

وإن كنا لا ننكر أن هذه الأمور من أسباب السّعادة، ولكنها تحتاج إلى ما يكملها ويتمها، لأن الواقع أفضل دليل كما يقال، فمن الناس من حصَّل هذه المذكورات، ولكنه في المقابل عاش حزينا ومات كئيبا.

«قال بعض العلماء: فكرت في سعي العقلاء فرأيت سعيهم كلهم في مطلوب واحد وإن اختلفت طرقهم في تحصيله، **رأيتهم جميعهم إنما يسعون في دفع الهم والغم عن نفوسهم**، فهذا في الأكل والشرب، وهذا في التجارة والكسب، وهذا بالنكاح، وهذا بسماع الغناء والأصوات المطربة، وهذا باللهو واللعب، فقلت: هذا المطلوب مطلوب العقلاء، ولكن الطرق كلها غير موصلة إليه، بل لعل أكثرها إنما يوصل إلى ضده، ولم أر في جميع هذه الطرق طريقا موصلا إليه، بل لعل أكثرها إنما يؤثر إلى الإقبال على الله وحده ومعاملته وحده، وإيثار مرضاته على كل شيء، فإنّ سالك هذا الطريق إن فاته حظه من الدنيا فقد ظفر بالحظ العالي الذي لا فوت معه، وإن حصل للعبد حصل له كل شيء، وإن فاته فاته كل شيء، وإن ظفر بحظه من الدنيا ناله على أهنأ الوجوه، فليس للعبد أنفع من

هذا الطريق ولا أوصل منه إلى لذته وبهجته وسعادته، وبالله التوفيق»[(١)].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

«إن راحة القلب وسروره، وزوال همومه وغمومه، هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، **ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين**، وأما من سواهم فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه، فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالا ومآلا»[(٢)].

«فهدى الله المؤمنين للسعادة، وحقق لهم طريق الإخلاص والنجاة، وجنبهم طريق الضنك والشقاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وهذه الرسالة التي بين يديك: [**الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**] قد أوضح فيها مؤلفها طرق السّعادة وسبلها، وبين طرق تلافي الهموم والغموم والأحزان.

فهي على صغر حجمها عظيم نفعها، والحاجة ماسة إليها لكل إنسان، لاسيما في هذه الأزمان التي كثرت فيها الفتن وعظمت فيها المحن.

فنسأل الله الكريم أن ينفع بها، ويأجر مؤلفها، ويتغمده برحمته، ويرحمنا معه، ويسلك بنا طريق السّعادة، ويجنبنا طريق الشقاء، إنه على كل شيء قدير،

---

(١) «الداء والدواء» (ص ١٣٦).

(٢) «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (ص ٧).

وبالإجابة جدير»[١].

ومما زاد هذه الرسالة القيمة النافعة نفعا - بإذن الله - تعليقات سديدة وتوجيهات مفيدة من شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حَفِظَهُ اللهُ[٢]، ومِنْ باب التَّعاون على نشر العلم النَّافع، والسَّعي في تعميمه للحاجة الماسَّة إليه، قُمْت بالاعتناءِ بهذه الرِّسالة؛ وَأَصْلها دروس للشَّيخ فُرِّغت؛ ومَا كَانَ مِنِّي إِلَّا التَّهذيب والتَّرتيب، والتَّوثيق والتَّدقيق، بَلْ حَاوَلْتُ المُحَافَظَة على كلام الشَّيخ بِحُرُوفِهِ إِلَّا مَا يَقْتَضِيه المَقَامُ مِنْ إِضَافَة مَا يُربط به الكَلَام لِتَمَامِ المَعْنى مع التَّعليق على بعض المواضع منها.

سائلًا الله عَزَّ وَجَلَّ أنْ يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يجزي خير الجزاء كل من أسهم في إخراجه للمنتفعين، إنه سميع مجيب الدعاء.

وصلَّى الله وسلم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr
واتساب: ٠٠٢١٣٥٥٥٩٠٣٠٩٥

(١) من مقدمة تحقيق شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حَفِظَهُ اللهُ لرسالة: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» (ص ٧).

(٢) وقد استأذنت شيخنا حَفِظَهُ اللهُ في إخراج العديد من الأعمال لفضيلته عدة مرات، وكنت ولا زلت لا أجد منه إلا الموافقة والتشجيع فجزاه الله خيرا وبارك فيه، وكان آخرها في بيته بالمدينة النبوية يوم الأحد ١ جمادى الثانية ١٤٤١هـ.

مقدمة الشارح

الحمدُ لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزِدنا علمًا، وأصلِح لنا شأننا كلَّه ولا تكِلنا إلى أنفُسنا طرفة عين.

أمَّا بعد:

فبين أيدينا رسالةٌ قيِّمة، ومؤلَّفٌ نافع، وكتابٌ مفيدٌ في بابه غاية الفائدة، وهو كتاب: «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السِّعدي رحمه الله تعالى؛ ألَّفه ﵀ معاونةً للناس في تحصيل السّعادة بذِكْر وسائلها، وأسباب تحصيلها ونَيْلها.

ومن المعلوم أنَّ السّعادة مطلوبُ كل إنسان؛ فليس أحدٌ من النّاس يريد لنفسه تعاسةً أو شقاءً أو غمومًا أو همومًا؛ بل كلٌّ يريد السّعادة، وكلٌّ ينشُدها، وكلٌّ يسعَى إلى تحصيلها؛ لكن تفاوتت طرائق النّاس وسُبُل تحصيلهم لهذه السّعادة وسَيْرهم في نَيْلها، بل إنَّ من الناس مَن سَلَكَ في تحصيل السّعادة ما

يجلُب له الشقاء، ويُحقِّق له ضدَّها.

فجاء هذا المؤلَّف القيِّم من الشيخ رحمه الله تعالى واضحًا -كما يُقال- النِّقاط على الحروف في فصولٍ ماتعة، وتقريراتٍ نافعة جمَعَها في هذه الرسالة المختصرة المفيدة لكلِّ مسلم.

ومن حُسن هذا الكتاب وجودة إفادته وعِظَم نَفْعه أنْ وَصَفَه بعض أهل العلم ولم يُبعِد في وَصْفه بأنَّه «مستشفى الأمراض النفسية» أو «مستشفى للأمراض النفسية»؛ وفعلًا شُفِيَ خَلْق من أمراضٍ وهمومٍ وغمومٍ وآلام عندما يسَّر الله ﷻ لهم قراءة هذا الكتاب.

وعندما تقرأ هذا الكتاب وما فيه من دقَّة، وحُسن تحرير، وجَمْع حسن، وصياغة أيضًا بديعة للوسائل التي تُنال بها السّعادة، ربَّما تظُنُّ أنَّ مؤلِّفه كتبَه وهو في أحسن ما يكون من الارتياح والمُتعة والصحَّة، ربَّما تظنُّ ذلك؛ لكن تعجَب عندما تعلَم أنَّ الشيخ رحمه الله تعالى كتَبَ هذا الكتاب على سرير المرض[(١)]، ويعاني من ألم شديد في رأسه، حتَّى إنَّ الأطبَّاء في ذلك الوقت قد منَعُوه من القراءة والكتابة لأنَّها تؤثِّر على صحَّته؛ فكان على سرير المرض يُحرِّر هذه الرسالة[(٢)]، ويجمَع هذا الجَمْع الباهر النافع دون أن يكون عنده مراجِع أو كتب؛

---

(١) «مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي» (ص١٣٠).

(٢) ويذكرنا هذا بالحوار الذي جرى بين شيخ الإسلام ابن تيمية وطبيب يحكيه الإمام ابن =

وإنَّما يكتُب من عُصارة الذاكرة، فجمَعَ رحمه الله جَمْعًا نافعًا مفيدًا للغاية.

وقد نفَعَ الله سبحانه وتعالى بهذه الرسالة خَلْقًا من عباد الله؛ لأنَّها فعلًا تُداوي النّفوس ممَّا يُحقِّق طَرْد الهموم والغموم والأحزان، وجَلْبَ السّعادة إلى القلب.

وصدَّر رحمه الله تعالى الرسالة بأنَّ مدار السّعادة على راحة القلب وطمأنينته، فإذا حصَّلَ القلب هذه الراحة وهذه الطمأنينة حصَلَتْ السّعادة؛ وإلَّا يبقَى القلب مشوَّشًا مضطربًا مهمومًا مغمومًا.

وعلى إثر ذلك دخَلَ رحمه الله تعالى في تفاصيل كثيرة في فصولٍ نافعة، يُوضِّح من خلالها الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

نسأل الله عز وجل أن يرحم مؤلِّف هذا الكتاب الشيخ عبد الرحمن، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يجعل جُهده هذا وغيره من جهوده من موازين حسناته، وأن

القيم رحمة الله على الجميع:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «حدثني شيخنا قال ابتدأني مرض فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض.

فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك أليست النفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة فدفعت المرض؟

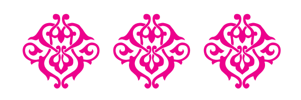
فقال: بلى.

فقلت له: فإن نفسي تسر بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة.

فقال هذا خارج عن علاجنا أو كما قال» «روضة المحبين» (ص ٧٠)، وانظر: «مفتاح دار السّعادة» (١/ ٢٥٠).

ينفعنا أجمعين، وأن يجعل هذه الرسالة سببًا لنا أجمعين في نَيْل السّعادة وتحقيقها، وهو وحده تبارك وتعالى الموفِّق لا شريك له.

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



ترجمة مختصرة للإمام
عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

نسبه:

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرَّحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة بني تَمِيم الشهيرة.

مولده:

ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النّبوية، وتوفِّيت أمُّهُ وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، فعاش يتيم الأبوين، وكَفَلَتْه زوجة أبيه رحمها الله، وأَحَبَّتْه أكثر من أولادها ورَعَتْه حتى شَبَّ، ثم انتقل إلى بيت أخيه الأكبر فقام على رعايته ونشأ نشأة صالحة كريمة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حَدَاثَة سِنِّه بذكائه ورغبته الشَّدِيدة في العلوم، فقرأ القرآن وحَفِظَه عن ظهْر قلب، وأتقنه وعمره أحد عشر سنة.

طلبه للعلم:

ثم اشتغل في التَّعلُّم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجدّ حتى نال الحظَّ الأوفر مِنْ كل فنّ مِنْ فنون العلم، ولمَّا بلغ من العمر ثلاثـًا وعشرين سنة جلس للتَّدريس فكان يتعلَّم ويُعَلِّم، ويقضي جميع

أوقاته في ذلك حتى أنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعًا إليه، ومعوَّل جميع الطلبة في التعلم عليه.

بعض مشايخه:

أخذ العلم رحمه الله عن:

١- الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر رحمه الله، وهو أول مَنْ قرأ عليه وكان رحمه الله يصف شيخه بحفظه للحديث، ويتحدَّثُ عن روعه ومحبَّته للفقراء مع حاجته ومواساتهم، وكثيراً ما يأتيه الفقير في اليوم الشاتي فيخلع أحد ثوبيه ويلبسه الفقير مع حاجته إليه، وقلة ذات يده رحمه الله، توفي في الكويت عام ١٣٣٨ هـ.

٢- الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل رحمه الله، قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرهما، توفي رحمه الله في عنيزة عام ١٣٤٣ هـ.

٣- الشيخ صالح بن عثمان القاضي رحمه الله (قاضي عنيزة)، قرأ عليه في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله وفروعه وعلوم العربية، وهو أكثر من قرأ عليه المؤلف ولازمه ملازمة تامة حتى توفي رحمه الله عام ١٣٥١هـ.

٤- الشيخ عبد الله بن عايض الحربي رحمه الله.

٥- الشيخ صعب بن عبد الله التويجري رحمه الله.

٦- الشيخ علي السناني رحمه الله.

٧- الشيخ علي الناصر أبو وادي رحمه الله، قرأ عليه في الحديث، وأخذ عنه الأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك.

٨- الشيخ محمد ابن الشيخ عبد العزيز بن محمد المانع رحمه الله (مستشار المعارف في المملكة العربية السعودية) في ذلك الوقت، وقد قرأ عليه في عنيزة، وتوفي رحمه الله عام١٣٨٥هـ.

٩- الشيخ محمد الشنقيطي رحمه الله (نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير) لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس قرأ عليه في التفسير والحديث وعلوم العربية، كالنحو والصرف ونحوهما.

أخلاقه:

كان رحمه الله على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعاً للصَّغير والكبير والغني والفقير، وكان يقضي بعض وقته في الاجتماع بمن يرغب حضوره، فيكون مجلسهم نادياً علمياً، حيث أنه يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها، فتنقلب مجالسهم العادية عبادة ومجالس علمية، ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه، ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى، وكثيراً ما يحلّ المشاكل برضاء الطرفين في الصُّلح العادل، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء، ماداً يد المساعدة لهم بحسب قدرته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير في المناسبات، وكان على جانب كبير مِنَ الأدب والعِفَّة والنَّزَاهة والحَزْم في كل أعماله، وكان مِنْ أَحْسَن النَّاس تعليماً وأبلغهم تفهيماً، مرتباً لأوقات التعليم، ويعمل المناظرات بين تلاميذه

المُحَصِّلِين لشحذ أفكارهم، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون، وكل من حفظه أعطى الجعل ولا يحرم منه أحد.

ويتشاور مع تلاميذه في اختيار الأنفع من كتب الدراسة، ويُرَجِّحُ ما عليه رغبة أكثرهم، ومع التساوي يكون هو الحَكَم، ولا يَمَلُّ التلاميذ من طول وقت الدراسة إذا طال، لأنهم يتلذَّذون مِنْ مجالسته، ولذا حصل له من التلاميذ المحصلين عدد كثير.

صفاته الخِلْقِيَّة:

كان قصير القامة، ممتلئ الجسم، أبيض اللون مُشْرَبًا بحُمْرة، مُدَوَّر الوجه طلقه، كثيف اللحية بيضاء، يتلألأ وجهه كأنه فضة، عليه نور في غاية الحسن وصفاوة اللون، نَيِّر لا يُرى إلا مبتسمًا أو بادية أَسَارِير وجهه.

مكانته العلمية:

كان ذا معرفة تامَّة في الفقه، أصوله وفروعه.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، وحصَلَ له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يُرَجِّحُ ما ترجَّحَ عنده بالدليل الشرعي، وله اليد الطُولى في التفسير، إذ قرأ عدَّة تفاسير وبرع فيها، وألف تفسيراً جليلاً في عدة مجلدات، فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير

ولا غيره، ودائمًا يقرأ والتلاميذ في القرآن الكريم ويفسِّره ارتجالاً، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى أنَّ سامعه يَوَدُّ أَنْ لا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سياق الأدلة والقصص، ومن اجتمع به وقرأ عليه وبحث معه عرف مكانته في العلم، وكذلك من قرأ مصنفاته وفتاويه.

تلاميذته:

فأما تلاميذه فكثيرون نذكر منهم:

١- الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، وهو الذي خَلَفَه في التَّدريس والإفتاء في عنيزة، وهو إمام الجامع الكبير في عنيزة، والمدرس في جامعة الإمام بالقصيم، صاحب التصانيف المفيدة والشروح النافعة.

٢- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل رحمه الله عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل السعودية.

٣- الشيخ علي بن حمد الصاحي رحمه الله، وكان الشيخ قد وكّل إليه تدريس صغار الطلبة، هو والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع في حدود ١٣٦٠هـ.

٤- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن صالح البسام رحمه الله، عضو هيئة التمييز بمكة المكرمة.

٥- الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان رحمه الله، صاحب الكتب النافعة.

وغيرهم كثير.

مؤلفاته:

١- «تفسير القرآن الكريم» المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان» في خمس مجلدات أكمله في عام ١٣٤٤ هـ وهو مطبوع.

٢- «حاشية على الفقه» استدراكًا على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي ولم تطبع.

٣- «إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب» رتبه على السؤال والجواب، طُبِع مرارا، وقد أعيد طبعه أيضا تحت عنوان: « الإرشاد إلى معرفة الأحكام».

٤- «الدُرَّة المختصرة في محاسن الإسلام»، طُبع في مطبعة أنصار السُنَّة عام ١٣٦٦هـ.

٥- «الخُطَب العصرية القيِّمة»، لما آل إليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت في المواضيع المهمة التي يحتاج الناس إليها، ثم جمعها وطبعها مع «الدرَّة المختصرة» في مطبعة أنصار السنة على نفقته ووزعها مجانًا.

٦- «القواعد الحسان لتفسير القرآن» مطبوع.

٧- «تنزيه الدين وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله»، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز «الشيخ محمد افندي نصيف» عام ١٣٦٦هـ.

٨- «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين» مطبوع.

٩- «توضيح الكافية الشافية» وهو كالشرح لنونية الإمام ابن القيم رحمه الله، مطبوع.

١٠- «وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني»، مطبوع.

١١- «القول السديد في مقاصد التوحيد» طبع.

١٢- «مختصر في أصول الفقه» لم يطبع.

١٣- «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن» طبع.

١٤- «الرياض الناضرة» طبع.

وله فوائد منثورة وفتاوى كثيرة في أسئلة شتى ترد إليه من بلده وغيرها ويجيب عليها، وله تعليقات شتى على كثير مما يمر عليه من الكتب.

وكانت الكتابة سهلة يسيرة عليه جداً، حتى أنه كتب من الفتاوى وغيرها شيئًا كثيراً.

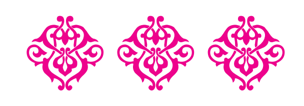
غايته من التصنيف:

وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفاته، لا ينال منها عرضًا زائلاً، أو يستفيد منها عرض الدنيا، **بل يوزِّعها مجانًا ليعم النَّفع بها**، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ووفقنا الله إلى ما فيه رضاه.

وفاته:

وبعد عمر مبارك دام قرابة ٦٩ عامًا في خدمة العلم انتقل إلى جوار ربِّه فجر

يوم الخميس الموافق ٢٢ جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة من بلاد القصيم رحمه الله رحمة واسعة[١].



(١) استفدت هذه الترجمة من مقدمة «المواهب الربانية من الآيات القرآنية» للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، وانظر: ترجمة حافلة لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حَفِظَهُ اللهُ في كتابه: «الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة» (ص٢١).

المتن:

«الوسائل المفيدة للحياة السعيدة»

قال الشيخ العلامة عبد الرّحمن السعدي رحمه الله:

«الحمد لله الذي له الحمد كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أمّا بعد: فإنّ راحة القلب، وطمأنينته وسروره وزوال همومه وغمومه، هو المطلب لكل أحد، وبه تحصل الحياة الطيبة، ويتم السّرور والابتهاج، ولذلك أسباب دينية، وأسباب طبيعية، وأسباب عملية، ولا يمكن اجتماعها كلها إلا للمؤمنين، وأمّا من سواهم، فإنّها وإن حصلت لهم من وجه وسبب يجاهد عقلاؤهم عليه، فاتتهم من وجوه أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومآلاً.

ولكني سأذكر برسالتي هذه ما يحضرني من الأسباب لهذا المطلب الأعلى، الذي يسعى له كل أحد.

فمنهم من أصاب كثيراً منها فعاش عيشة هنيئة، وحيى حياة طيبة، ومنهم من أخفق فيها كلها فعاش عيشة الشقاء، وحيي حياة التعساء. ومنهم من هو بين بين، بحسب ما وُفق له. والله الموفق المستعان به على كل خير، وعلى دفع كل شر.

فصل

١ – وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسها هو الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل، آية: ٩٧]..

فأخبر تعالى ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بالحياة الطيبة في هذه الدار، وبالجزاء الحسن في هذه الدار وفي دار القرار.

وسبب ذلك واضح، فإنّ المؤمنين بالله الإيمان الصحيح، المثمر للعمل، الصالح المصلح للقلوب والأخلاق والدنيا والآخرة، معهم أصول وأسس يتلقون فيها جميع ما يرد عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهم والأحزان.

يتلقون المحاب والمسار بقبول لها، وشكر عليها، واستعمال لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه. أحدث لهم من الابتهاج بها، والطمع في بقائها وبركتها، ورجاء ثواب الشاكرين، أموراً عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتها هذه المسرات التي هذه ثمراتها.

ويتلقون المكاره والمضار والهم والغم بالمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لما ليس لهم منه بد، وبذلك يحصل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة، والتجارب والقوة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمور عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل

محلها المسار والآمال الطيبة، والطمع في فضل الله وثوابه، كما عبر النبي ﷺ عن هذا في الحديث الصحيح أنه قال: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» رواه مسلم.

فأخبر ﷺ أن المؤمن يتضاعف غنمه وخيره وثمرات أعماله في كل ما يطرقه من السرور والمكاره. لهذا تجد اثنين تطرقهما نائبة من نوائب الخير أو الشر فيتفاوتان تفاوتاً عظيماً في تلقيها، وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان والعمل الصالح. هذا الموصوف بهذين الوصفين يتلقى الخير والشر بما ذكرناه من الشكر والصبر وما يتبعهما، فيحدث له السرور والابتهاج، وزوال الهم والغم، والقلق، وضيق الصدر، وشقاء الحياة وتتم له الحياة الطيبة في هذه الدار. والآخر يتلقى المحاب بأشرٍ وبطرٍ وطغيان. فتنحرف أخلاقه ويتلقاها كما تتلقاها البهائم بجشع وهلع، ومع ذلك فإنه غير مستريح القلب، بل مشتته من جهات عديدة، مشتت من جهة خوفه من زوال محبوباته، ومن كثرة المعارضات الناشئة عنها غالباً، ومن جهة أن النفوس لا تقف عند حد بل لا تزال متشوقة لأمور أخرى، قد تحصل وقد لا تحصل، وإن حصلت على الفرض والتقدير فهو أيضاً قلق من الجهات المذكورة ويتلقى المكاره بقلق وجزع وخوف وضجر، فلا تسأل عن ما يحدث له من شقاء الحياة، ومن الأمراض الفكرية والعصبية، ومن الخوف الذي قد يصل به إلى أسوأ الحالات وأفظع

المزعجات، لأنه لا يرجو ثواباً. ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه.

وكل هذا مشاهد بالتجربة، ومثل واحد من هذا النوع، إذا تدبرته ونزلته على أحوال الناس، رأيت الفرق العظيم بين المؤمن العامل بمقتضى إيمانه، وبين من لم يكن كذلك، وهو أن الدين يحث غاية الحث على القناعة برزق الله، وبما آتى العباد من فضله وكرمه المتنوع.

فالمؤمن إذا ابتلي بمرض أو فقر، أو نحوه من الأعراض التي كل أحد عرضة لها، فإنه - بإيمانه وبما عنده من القناعة والرضا بما قسم الله له - يكون قرير العين، لا يتطلب بقلبه أمراً لم يقدر له، ينظر إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، وربما زادت بهجته وسروره وراحته على من هو متحصل على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة.

كما تجد هذا الذي ليس عنده عمل بمقتضى الإيمان، إذا ابتلي بشيء من الفقر، أو فقد بعض المطالب الدنيوية، تجده في غاية التعاسة والشقاء.

ومثل آخر: إذا حدثت أسباب الخوف، وألمت بالإنسان المزعجات، تجد صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئن النفس، متمكناً من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه بما في وسعه من فكر وقول وعمل، قد وطن نفسه لهذا المزعج الملم، وهذه أحوال تريح الإنسان وتثبت فؤاده.

كما تجد فاقد الإيمان بعكس هذه الحال إذا وقعت المخاوف انزعج لها ضميره، وتوترت أعصابه، وتشتت أفكاره وداخله الخوف والرعب، واجتمع

عليه الخوف الخارجي، والقلق الباطني الذي لا يمكن التعبير عن كنهه، وهذا النوع من الناس إن لم يحصل لهم بعض الأسباب الطبيعية التي تحتاج إلى تمرين كثير، انهارت قواهم، وتوترت أعصابهم، وذلك لفقد الإيمان الذي يحمل على الصبر، خصوصاً في المحال الحرجة، والأحوال المحزنة المزعجة.

فالبَر والفاجر، والمؤمن والكافر يشتركان في جلب الشجاعة الاكتسابية، وفي الغريزة التي تلطف المخاوف وتهونها، ولكن يتميز المؤمن بقوة إيمانه وصبره وتوكله على الله واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه - أموراً تزداد بها شجاعته، وتخفف عنه وطأة الخوف، وتهون عليه المصاعب، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [سورة النساء، آية: ١٠٤]. ويحصل لهم من معونة الله ومعينه الخاص ومدده ما يبعثر المخاوف. وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: آية ٤٦].

٢- ومن الأسباب التي تزيل الهم والغم والقلق، الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل، وأنواع المعروف، وكلها خير وإحسان، وبها يدفع الله عن البَر والفاجر الهموم والغموم بحسبها، ولكن للمؤمن منها أكمل الحظ والنصيب، ويتميز بأن إحسانه صادر عن إخلاص واحتساب لثوابه، فيهون الله عليه بذل المعروف لما يرجوه من الخير، ويدفع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه، قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء،

آية: ١١٤].

فأخبر تعالى أن هذه الأمور كلها خير ممن صدرت منه. والخير يجلب الخير، ويدفع الشر. وأن المؤمن المحتسب يؤتيه الله أجراً عظيمًا ومن جملة الأجر العظيم: زوال الهم والغم والأكدار ونحوها.

فصل

٣- ومن أسباب دفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب، واشتغال القلب ببعض المكدرات: الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة. فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه. وربما نسي بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت له الهم والغم، ففرحت نفسه، وازداد نشاطه، وهذا السبب أيضًا مشترك بين المؤمن وغيره. ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلمه أو يعلمه، وبعمل الخير الذي يعمله، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان شغلاً دنيويًا أو عادةً أصحبها النية الصالحة. وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فلذلك أثره الفعال في دفع الهم والغموم والأحزان، فكم من إنسان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار، فحلت به الأمراض المتنوعة، فصار دواؤه الناجع (نسيانه السبب الذي كدره وأقلقه، واشتغاله بعمل من مهماته).

وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس وتشتاقه، فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع، والله أعلم.

٤- ومما يدفع به الهم والقلق اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي، ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن، (في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم)، فلا ينفع الحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردها ولا استدراكها وقد يضر الهم الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل، فعلى العبد أن يكون ابن يومه، يجمع جده واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلى به العبد عن الهم والحزن. والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فإنما يحث مع الاستعانة بالله والطمع في فضله على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله. والتخلي عما كان يدعو لدفعه لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده. ويستعينه على ذلك، كما قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» رواه مسلم، فجمع ﷺ بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال. والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضار، وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة، ومشاهدة قضاء الله وقدره.

وجعل الأمور قسمين: قسماً يمكن العبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما

يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه فهذا يبدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده. وقسمًا لا يمكن فيه ذلك، فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلم، ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسرور وزوال الهم والغم.

فصل

٥- ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينته (الإكثار من ذكر الله) فإن لذلك تأثيراً عجيبًا في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همه وغمه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، آية: ٢٨]، فلذكر الله أثر عظيم في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولما يرجوه العبد من ثوابه وأجره.

٦- وكذلك التحدث بنعم الله الظاهرة والباطنة، فإن معرفتها والتحدث بها يدفع الله به الهم والغم، ويحث العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا. فإنه إذا قابل بين نعم الله عليه - التي لا يحصى لها عد ولا حساب - وبين ما أصابه من مكروه، لم يكن للمكروه إلى النعم نسبة.

بل المكروه والمصائب إذا ابتلى الله بها العبد، وأدى فيها وظيفة الصبر والرضا والتسليم، هانت وطأتها، وخفت مؤنتها، وكان تأميل العبد لأجرها وثوابها والتعبد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضى، يدع الأشياء المرة حلوة فتنسيه حلاوةُ أجرها مرارةَ صبرها.

٧- ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في

الحديث الصحيح حيث قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» رواه البخاري، فإن العبد إذا نصب بين عينيه هذا الملحظ الجليل رآه يفوق جمعًا كثيراً من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه، مهما بلغت به الحال، فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنعم الله التي فاق فيها غيره، ممن هو دونه فيها.

وكلما طال تأمل العبد بنعم الله الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً ودفع عنه شروراً متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور.

فصل

٨- ومن الأسباب الموجبة للسرور وزوال الهم والغم السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأن ذلك حمق وجنون، فيجاهد قلبه عن التفكر فيها، وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، مما يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضرّاتها، ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتكل على ربه في إصلاحه،

واطمأن إليه في ذلك، إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلحت أحواله، وزال عنه همه وقلقه.

٩- ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور استعمال هذا الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر» رواه مسلم. وكذلك قوله: «اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عينْ وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» (رواه أبو داود بإسناد صحيح، فإذا لهج العبد بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همه فرحـًا وسروراً.

فصل

١٠- ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصل على العبد شيء من النكبات، أن يسعى في تخفيفها بأن يقّدِر أسوأ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر، ويوطن على ذلك نفسه، فإذا فعل ذلك فليسع إلى تخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان، فبهذا التوطين وبهذا السعي النافع، تزول همومه وغمومه، ويكون بذل ذلك السعي في جلب المنافع، وفد دفع المضار الميسورة للعبد.

فإذا حلت به أسباب الخوف، وأسباب الأسقام، وأسباب الفقر والعدم لما يحبه من المحبوبات المتنوعة، فليتلق ذلك بطمأنينة وتوطين للنفس عليها، بل على أشد ما يمكن منها، فإن توطين النفس على احتمال المكاره، يهونها ويزيل شدتها، وخصوصاً إذا أشغل نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره، فيجتمع في حقه توطين النفس مع السعي النافع الذي يشغل عن الاهتمام بالمصائب، ويجاهد نفسه على تجديد قوة المقاومة للمكاره، مع اعتماده في ذلك على الله وحسن الثقة به ولا ريب أن لهذه الأمور فائدتها العظمى في حصول السرور وانشراح الصدور، مع ما يؤمله العبد من الثواب العاجل والآجل، وهذا مشاهد مجرب، ووقائعه ممن جربه كثيرة جداً.

فصل

١١- ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبية، بل وأيضاً للأمراض البدنية: قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيئة. والغضب والتشوش من الأسباب المؤلمة ومن توقع حدوث المكاره وزوال المحاب، أوقعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنية، والانهيار العصبي الذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس مضارها الكثيرة.

١٢- ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، اندفعت عنه بذلك الهموم

والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات الفاسدة، وكم أثَّرت هذه الأمور على قلوب كثيرين من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء، وكم أدت إلى الحمق والجنون، والمعافى مَن عافاه الله ووفقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [سورة الطلاق، آية: ٣]، أي كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه.

فالمتوكل على الله قوي القلب لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث لعلمه أن ذلك من ضعف النفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له، ويعلم مع ذلك أن الله قد تكفل لمن توكل عليه بالكفاية التامة، فيثق بالله ويطمئن لوعده، فيزول همه وقلقه، ويتبدل عسره يسراً، وترحه فرحاً (الترح: الحزن)، وخوفه أمناً، فنسأله تعالى العافية وأن يتفضل علينا بقوة القلب وثباته، وبالتوكل الكامل الذي تكفل الله لأهله بكل خير، ودفع كل مكروه وضير (الضير: الضرر).

فصل

١٣- وفي قول النبي ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر» رواه مسلم، فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصاحب والمعامل، وكل من بينك وبينه علاقة واتصال، وأنه ينبغي أن توطِن نفسك على أنه لا بد أن

يكون فيه عيب أو نقص أو أمر تكرهه، فإذا وجدت ذلك، فقارن بين هذا وبين ما يجب عليك، أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبة، بتذكر ما فيه من المحاسن، والمقاصد الخاصة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن، تدوم الصحبة والاتصال وتتم الراحة وتحصل لك.

الفائدة الثانية: وهي زوال الهم والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة: وحصول الراحة بين الطرفين، ومن لم يسترشد بهذا الذي ذكره النبي ﷺ - بل عكس القضية، فلحظ المساوئ، وعمي عن المحاسن-، فلابد أن يقلق، ولابد أن يتكدر ما بينه وبين من يتصل به من المحبة، ويتقطع كثير من الحقوق التي على كلٍ منهما المحافظة عليها.

وكثير من الناس ذوي الهمم العالية يوطنون أنفسهم عند وقوع الكوارث والمزعجات على الصبر والطمأنينة. لكن عند الأمور التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدر الصفاء، والسبب في هذا أنهم وطنوا نفوسهم عند الأمور الكبار، وتركوها عند الأمور الصغار، فضرتهم، وأثرت في راحتهم، فالحازم يوطن نفسه على الأمور القليلة والكبيرة، ويسأل الله الإعانة عليها، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير. ويبقى مطمئن النفس ساكن القلب مستريحاً.

فصل

١٤- العاقل يعلم أن حياته الصحيحة حياة السّعادة والطمأنينة، وأنها قصيرة

جداً، فلا ينبغي له أن يقصرها بالهم والاسترسال مع الأكدار، فإن ذلك ضد الحياة الصحيحة، فيشح بحياته أن يذهب كثير منها نهبًا للهموم والأكدار، ولا فرق في هذا بين البَر والفاجر، ولكن المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل.

١٥- وينبغي أيضًا إذا أصابه مكروه أو خاف منه أن يقارن بين بقية النعم الحاصلة له دينية أو دنيوية، وبين ما أصابه من مكروه فعند المقارنة يتضح كثرة ما هو فيه من النِّعم، واضمحلال ما أصابه من المكاره.

وكذلك يقارن بين ما يخافه من حدوث ضرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السّلامة منها، فلا يدع الاحتمال الضعيف يغلب الاحتمالات الكثيرة القوية، وبذلك يزول همّه وخوفه، ويقدر أعظم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه، فيوطن نفسه لحدوثها إن حدثت، ويسعى في دفع ما لم يقع منها وفي رفع ما وقع أو تخفيفه.

١٦- ومن الأمور النافعة أن تعرف أن أذية النّاس لك وخصوصًا في الأقوال السيئة، لا تضرك بل تضرهم، إلا إن أشغلت نفسك في الاهتمام بها، وسوغت لها أن تملك مشاعرك، فعند ذلك تضرك كما ضرتهم، فإن أنت لم تضع لها بالاً لم تضرك شيئًا.

١٧- واعلم أن حياتك تبع لأفكارك، فإن كانت أفكاراً فيما يعود عليك نفعه في دين أو دنيا فحياتك طيبة سعيدة. وإلا فالأمر بالعكس.

١٨- ومن أنفع الأمور لطرد الهم: أن توطن نفسك على أن لا تطلب الشكر إلا من الله، فإذا أحسنت إلى من له حق عليك أو من ليس له حق، فاعلم أن هذا معاملة منك مع الله. فلا تبال بشكر من أنعمت عليه، كما قال تعالى في حق خواص خلقه: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [سورة الإنسان، آية: ٩].

ويتأكد هذا في معاملة الأهل والأولاد، ومن قوي اتصالك بهم، فمتى وطنت نفسك على إلقاء الشرّ عنهم، فقد أرحت واسترحت؛ ومن دواعي الراحة أخذ الفضائل والعمل عليها بحسب الداعي النفسي دون التكلف الذي يقلقك، وتعود على أدراجك خائباً من حصول الفضيلة، حيث سلكت الطريق الملتوي، وهذا من الحكمة، وأن تتخذ من الأمور الكَدِرَة أموراً صافية حلوة وبذلك يزيد صفاء اللذات، وتزول الأكدار.

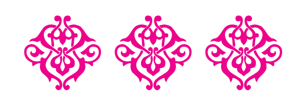
١٩- اجعل الأمور النافعة نصب عينيك واعمل على تحقيقها، ولا تلتفت إلى الأمور الضارة لتلهو بذلك عن الأسباب الجالبة للهم والحزن، واستعن بالراحة وإجماع النفس على الأعمال المهمة.

٢٠- ومن الأمور النافعة: حسم الأعمال في الحال، والتفرغ في المستقبل لأن الأعمال إذا لم تحسم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمت كل شيء بوقته أتيت الأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل.

٢١- وينبغي أن تتخير من الأعمال النافعة الأهم فالأهم، وميز بين ما تميل نفسك إليه وتشتد رغبتك فيه، فإن ضده يحدث السآمة والملل والكدر، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريد فعله درسًا دقيقًا، فإذا تحققت المصلحة، وعزمت، فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين.

والحمد لله ربّ العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السّعدي رحمه الله وغَفَرَ له:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له الحمد كلُّه، وأشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

أمَّا بعد:

فإنَّ راحة القلب وسروره، وزوال همومه وغمومه هو المَطلَب لكلِّ أحد، وبه تحصُل الحياة الطيِّبة، ويتِمُّ السرور والابتهاج، ولذلك أسبابٌ دِينيَّةٌ، وأسبابٌ طبيعيَّةٌ، وأسبابٌ عمليَّة، ولا يمكن اجتماعها كلُّها إلَّا للمؤمنين؛ وأمَّا مَن سِواهم فإنَّها وإن حصلَتْ لهم من وجهٍ وسببٍ يُجاهدُ عقلاؤهم عليه، فاتتهم من وجوهٍ أنفع وأثبت وأحسن حالًا ومآلًا.

ولكنِّي سأذكُر برسالتي هذه ما يحضُرني من الأسباب لهذا المَطلَب الأعلى، الذي يسعَى له كلُّ أحد.

فمنهم مَن أصابَ كثيرًا منها: فعاش عِيشةً هنيَّة، وحيَّ حياةً طيِّبة.

ومنهم مَن أخفَقَ فيها كلِّها: فعاش عِيشة الشَّقاء، وحيَّ حياة التُّعساء.

ومنهم مَن هو بين بين بحسب ما وُفِّقَ له.

والله الموفِّق والمستعان به على كل خيرٍ وعلى دَفع كلِّ شرٍّ».

الشَّرح

هذه المُقدِّمة لهذه الرسالة لخَّص فيها رحمه الله مقصود هذه الرسالة، والغرض الذي من أجله ألَّفها رحمه الله تعالى، وتضمَّنت هذه المقدِّمة أمورًا ثلاثة:

○ **الأول**: بيان مدار السّعادة، والأصل الذي ترتكز عليه وتُبنَى عليه وتقوم، وهو «راحة القلب»، وأنَّ مدار السّعادة: راحة القلب وطمأنينته.

فتتركَّز السّعادة على استجلاب أمور للقلب، بحيث أنَّها إذا دخلَتْ القلب وعُمِرَ بها، حصَّل المرء السّعادة، وإذا افتقدها القلب فإنَّ السّعادة تترحَّل عنه مهما فعل من أسبابٍ يريد أن ينال بها سعادته؛ فالسّعادة مدارها على راحة القلب وطمأنينته.

○ **الأمر الثاني** ممَّا تضمَّنته هذه المقدِّمة: أنَّ أسباب السّعادة ثلاثة:

- دِينيَّة.
- وطبيعيَّة.
- وعمليَّة.

أمَّا الدِّينيَّة: فسيأتي تفصيلها من:

- تحقيق الإيمان.
- وذِكر الرحمٰن.
- وتلاوة القرآن.
- وتحقيق العبوديَّة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذا لُبُّ السّعادة ورُوحها وأساسها.

والثاني: أسباب طبيعيَّة: مثل أن يكون الإنسان –مثلًا– لا يشتكِي من عِلَّة، أو –مثلًا– ليس هناك أمورٌ داهمته، أو غمومٌ حصلَتْ له:

فهناك أسباب طبيعيَّة.

وهناك أسباب عمليَّة -يعني- يبذُلها الإنسان.

وربَّما تكون بعضها أسباب دنيويَّة، مثلًا: يشتغل في حِرفة، أو في صناعة، يملأ وقته في أشياء نافعة ومفيدة.

وهذه الأسباب الدِّينيَّة، والطبيعيَّة، والعمليَّة لا يمكن أن تجتمع إلَّا للمؤمن.

أما غير المؤمن قد يفعل بعض الأسباب الدُّنيويَّة التي يحصُل لقلبه بها شيء من الراحة، وشيء من السّعادة؛ لكن السّعادة الحقيقيَّة لا تتمّ إلَّا بالأصل الذي هو السبب الدِّيني الذي هو الإيمان، وطاعة الرحمٰن والذُّل له ﷻ؛ لأنَّ الله أبَى -كما بيَّن في كتابه- أن تكون سعادة إلَّا بطاعته ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [سورة طه، من الآية: ١٢٣]؛ أي: يَسعَد[١].

ومفهوم المخالفة: أنَّ الذي لا يتَّبع هدى لا يسعَد؛ بل يكون من أهل الشقاء.

○ **الأمر الثالث** ممَّا تضمَّنته هذه المقدِّمة: أنَّ حظ النّاس من هذه السّعادة متفاوت:

---

(١) جاء في تفسير هذه الآية أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه، أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [سورة طه، آية: ١٢٣]» رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٨/ ٣٨٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٩٢٦).

منهم مَن أصاب منها خيرًا كثيرًا؛ فعاش عِيشةً هنيَّة طيِّبة.

ومنهم مَن أخفَق، لم يُحصِّل منها شيئًا؛ فعاش عِيشة الشقاء.

(**ومنهم مَن هو بين بين**)؛ يعني: تارةً وتارة.

والتوفيق بيد الله ﷻ، وهو وحده المستعان، والعبد ينبغي عليه أن يلجأ إلى الله، وأن يستعِين به، وأن يتوكَّل عليه، ومن بعد ذلك يبنِي أو يبذُل الأسباب التي يَنال بها هذه السّعادة.

المَتْنُ

قال رحمه الله: «**فصلٌ**:

وأعظم الأسباب لذلك وأصلُها وأُسُّها هو:

□ الإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٧]؛ فأخبر تعالى ووعَدَ مَن جمَعَ بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيِّبة في هذه الدَّار، وبالجزاء الحسن في هذه الدار وفي دار القرار.

وسبب ذلك واضح؛ فإنَّ المؤمنين بالله الإيمان الصحيح المُثمر للعمل الصالح، المُصلِح للقلوب والأخلاق في الدنيا والآخرة، معهم أصولٌ وأُسسٌ يتلقَّوْنَ فيها جميع ما يَرِدُ عليهم من أسباب السرور والابتهاج، وأسباب القلق والهمِّ والأحزان.

يتلقَّوْن المحابَّ والمسارَ بقَبولٍ لها، وشُكرٍ عليها، واستعمالٍ لها فيما ينفع، فإذا استعملوها على هذا الوجه أحدَثَ لهم من الابتهاج بها والطمع في بقائها وبركتها، ورجاء ثواب الشَّاكرِين، أمورًا عظيمةً تفُوقُ بخيراتها وبركاتها هذه المسرَّات التي هي ثمراتها.

ويتلقَّوْن المكاره والمضارَّ والهمَّ والغمَّ بالمقاومة لِمَا يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يُمكنهم تخفيفه، والصبر الجميل لِمَا ليس لهم عنه بُدٌّ؛ وبذلك يحصُل لهم من آثار المكاره من المقاومات النافعة والتجارُب والقوَّة، ومن الصبر واحتساب الأجر والثواب أمورٌ عظيمةٌ تضمحِلُّ معها المكاره، وتحِلُّ محلَّها المسارُّ والآمال الطيِّبة، والطمع في فضل الله وثوابه.

كما عبَّر النبيُّ ﷺ عن هذا في الحديث الصحيح أنَّه قال: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمَرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»(١)؛ فأخبر ﷺ أنَّ المؤمن يتضاعَفُ غُنْمُه وخيره وثمرات أعماله في كلِّ ما يطرُقه من السرور والمكاره».

الشَّرْحُ

يعني: هذا الأصل والأساس الذي تُبنَى عليه السّعادة، بل لا يمكن أن تقوم إلّا عليه، وهو **(الإيمان والعمل الصالح)**.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

وصدَّر رحمه الله تعالى أسباب نَيْل السّعادة بهذه الآية العظيمة المباركة من سورة النَّحل، وهي قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٧](١)؛ فبالإيمان والعمل الصالح حصَّلوا ثمرتين: دُنيويَّة وأُخرويَّة:

أمَّا الدُنيويَّة فهي: الحياة الطيِّبة، حياة الطمأنينة والراحة والسّعادة والأُنس في كل أحوالهم، وفي جميع تقلُّبات أمورهم.

والثمرة الأُخرى: ثمرة أُخرويَّة: وهي الجزاء الحسن، والثواب العظيم الذي أعدَّه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمؤمنين أهل طاعته وعبادته وحُسن التقرُّب إليه.

وبيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ المؤمن بإيمانه الذي أكرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به يتلقَّى جميع ما يَرِد عليه من أسباب السّرور أو أسباب القلق بهذا الإيمان، معه إيمانٌ يتلقَّى به ما يُواجهه من أمورٍ سارَّة أو من أمورٍ مُحزِنةٍ ومُقلِقة ومؤلمة؛ فبالإيمان يتلقَّى هذه الأشياء.

ولهذا يُعَدُّ الإيمان مفزَعًا للمؤمن في كل ما ينتابه من مُفرحٍ أو مُحزن، كل ذلك يتلقَّاه بالإيمان(٢).

---

(١) قال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾، قال: «السّعادة» رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٧/ ٢٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٥٠٩).

(٢) قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حَفِظَهُ ٱللَّهُ: «وأذكر في هذا المقام قصة

=

فإذا كان الأمر مُفرحًا: تلقَّاه بالإيمان، فهداه إيمانه إلى شُكر الله، واستعمال هذه النعمة في طاعة الله، وما يُقرِّب إليه ﷻ.

وإن كان أمرًا مُحزِنًا، مؤلمًا، مُقلِقًا: أرشده إيمانه إلى تلقِّيه بالصَّبر، وبَذْل الأسباب التي يُقاوم بها هذا الأمر الذي حصَلَ له أو وقَعَ له.

فيتلقَّى الأمور السَّارة بالإيمان، فيهدِيه الإيمان إلى شُكْر المُنعِم، وإلى استعمالها في طاعته ﷻ، وعدم استعمالها في معصيته؛ فيفوز بثواب الشَّاكرِين.

ويتلقَّى المكاره والمَضار والهموم في مقاومتها بما يستطيع، أو بالعمل على تخفيفها، وبالصبر الجميل للشيء الذي ليس منه بُدٌّ، وما عنده فيه حِيلة، فيتلقَّاه بالصبر الجميل فيفوز حينئذٍ بثواب الصَّابرِين.

ولهذا أورَدَ رحمه الله تعالى هذا الحديث العظيم الذي قال فيه ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمَرَهُ كُلَّهُ خُيْرٌ**»؛ يعني: في جميع تقلُّبات المؤمن هو من خيرٍ إلى

عجيبة للغاية وهي أنه قبل سنة تقريبا اتصل بي شاب عمره سبع وعشرون سنة، وقال: عندي سؤال ولكن قبل أن أسأل أريد أن أعرفك بحالي، قلت: تفضل، قال: أنا لا يتحرك في من جسمي إلا رأسي فقط، يعني مصاب بشلل رباعي، ثم طرح سؤاله، قلت: أنت في أي بلد؟ فذكر لي أنه في المدينة، فقلت: أريد أن أزورك، وأخذت العنوان وزرته في مكانه وجلست معه ساعة ونصف، وحدثني عن قصته وأنها كانت بسبب حادث سيارة إلى آخر قصته، وأنها كانت بسبب حادث سيارة إلى آخر قصته، لكنه قال لي: والله إني أحس الآن بسعادة مشيت على قدمي كثيرا أبحث عنها ولم أجدها..» «أسباب السّعادة» (ص١٣).

خير، حتى المصائب التي تُصِيبه، والفواجع، والآلام، والأمراض، وفَقْد الحبيب..... إلى آخره؛ هذه كلُّها خير للمؤمن.

ولهذا ينبغي على المؤمن أن يَعِي جيدًا هذا الحديث، فإذا أصابته مصيبة عليه أن يفهَم أنَّ هذا خيرٌ للمؤمن؛ لأنَّه في عبوديةٍ لله ﷻ، أو في ابتلاءٍ له عبوديته، فيعمل على تحقيق تلك العبوديَّة ليفوز بثوابها وأجرها.

قال: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمَرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ**»؛ وبيَّن ذلك ﷺ، أو بيَّن وجه ذلك أنَّ أمرَه كلَّه خير.

قال: «**إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»؛ إذا أصابه أمر سار، مُفرِح، نعمة أدخلَتْ على قلبه سرورًا وفرحًا؛ فإنَّه يتلقَّاه بشُكر المُنعِم، ويعلَم أنَّه لا حول له ولا قوَّة إلَّا بالله ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الحديد، من الآية: ٢٩].

وإن أصابته أمور ضارَّة «**وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»؛ يعني: يتلقَّاها بالصبر؛ فيفوز بثواب الصَّابرين.

قال: «**وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ**»؛ لأن غير المؤمن يتلقى النعم بالبطَر والأشر، والمصائب يتلقَّاها بالسخط والجزع.

أمَّا المؤمن فأمره آخر:

- في سرَّائه: شاكرٌ للمُنعِم.

- وفي ضرَّائه: صابر[١].

فهو في الحالتين فائز: في الأُولَى فائزٌ فيها بثواب الشاكِرين، والثانية فائزٌ فيها بثواب الصابرين.

المَتْنُ

قال ﵀: «**لهذا تجِدُ اثنين تطرُقهُما نائبةٌ من نوائب الخير أو الشرِّ؛ فيتفاوتان تفاوُتًا عظيمًا في تلقِّيها، وذلك بحسب تفاوتهما في الإيمان والعمل الصالح.**

هذا الموصوف بهذين الوَصْفَيْن يتلقَّى الخير والشرَّ بما ذَكرْناه من الشُّكر والصبر وما يَتبعُهما، فيحدُث له السرور والابتهاج، وزوال الهمِّ والغمِّ والقلق، وضِيق الصَّدر، وشقاء الحياة، وتتمُّ له الحياة الطيِّبة في هذه الدار.

والآخر يتلقَّى المَحابَّ بأشرٍ وبطرٍ وطُغيان؛ فتنحرف أخلاقه، ويتلقَّاها كما تتلقَّاها البهائم بجشعٍ وهلع، ومع ذلك فإنَّه غير مستريح القلب؛ بل مشتَّتهُ من جهاتٍ عديدة:

مشتَّتٌ من جهة خوفه: من زوال محبوباته، ومن كثرة المُعارضات الناشئة عنها غالبًا، ومن جهة أنَّ النفوس لا تقف عند حدٍّ، بل لا تزال متشوِّقةً لأمورٍ أخرى قد تحصُل وقد لا تحصُل.

وإن حصلَتْ على الفرض والتقدير فهو أيضًا قلقٌ من الجهات المذكورة.

---

(١) وصدق قتادة ﵀ لما قال: «نعم الْعَبْد، عَبْد إِذَا ابْتُلَي صَبرَ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ» رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٥٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٠٦٣).

ويتلقَّى المكاره بقلقٍ وجزعٍ وخوفٍ وضجر؛ فلا تسأل عمَّا يحدُث له من شقاء الحياة، ومن الأمراض الفِكريَّة والعصبيَّة، ومن الخوف الذي قد يصلُ به إلى أسوأ الحالات وأفظع المُزعجات؛ لأنَّه لا يرجو ثوابًا، ولا صبر عنده يُسلِّيه ويُهوِّن عليه.

وكلُّ هذا مُشاهَدٌ بالتجربة، ومثلٌ واحدٌ من هذا النوع إذا تدبَّرته ونزَّلته على أحوال الناس رأيتَ الفَرْق العظيم بين المؤمن العامل بمقتضَى إيمانه، وبين مَن لم يكن كذلك، وهو أنَّ الدِّين يحثُّ غاية الحثِّ على القناعة برِزق الله، وبما آتى العباد من فضله وكرمه المتنوِّع.

فالمؤمن إذا ابتُلِيَ بمرضٍ، أو فقرٍ، أو نحوه من الأعراض التي كل أحدٍ عُرضةٌ لها؛ فإنَّه بإيمانه وبما عنده من القَناعة والرِّضَى بما قَسَمَ الله له تَجِدُهُ قريرَ العين لا يتطلَّب بقلبه أمرًا لم يُقدَّر له، ينظُر إلى مَن هو دونه، ولا ينظُر إلى مَن هُوَ فَوقه، وربَّما زادَتْ بهجته وسروره وراحته على مَن هو متحصِّلٌ على جميع المطالب الدُّنيويَّة إذا لم يُؤتَ القناعة.

كما تجد هذا الذي ليس عنده عملٌ بمقتضَى الإيمان إذا ابتُلِيَ بشيءٍ من الفقر، أو فَقْد بعض المطالب الدنيويَّة، تجدُهُ في غاية التعاسة والشّقاء».

الشَّرحُ

الشيخ رحمه الله لمَّا ذَكَرَ الحديث: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمَرَهُ كُلَّهُ خُيْرٌ»؛ بيَّن أنَّ النّاس يتفاوتُون في النوائب، سواء النوائب بالخير أو بالشرِّ، يتفاوتون في طريقة

تلقِّيها.

وهذا التلقِّي للنوائب من خيرٍ أو شرٍّ أيضًا هو جوهر يعدُّ للسّعادة، ومن أعظم الأسباب التي به تُنال، فيتفاوتون في تلقِّي النوائب من خيرٍ أوشرٍّ.

والخير مثلًا: صحَّة، نعمة، ولد، مال.... إلى غير ذلك من أمور الخير.

المؤمن مثل ما تقدَّم في الحديث يتلقَّى هذه الخيرات بشُكر المُنعِم، «**شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»؛ يتلقَّاها بشُكر المُنعِم فتزِيد بهجته، وتزِيد البركة له فيما أعطاه الله، ويزيد سروره وراحته، وتنزاح عنه الهموم والغموم.

والآخر يتلقَّى تلك النِّعم بالبَطر والطُغيان، وعدم شُكر المُنعِم؛ فتتأثَّر أخلاقه بذلك وتفسُد، وتُصبح أخلاقه فيها الهلع، وفيها الجشع، وفيها الحسد، فيُبتَلَى قلبه بأمراض متعدِّدة، فتنحرف أخلاقه.

ويبقَى أيضًا مع هذا المال الذي عنده قلِقًا مضطربًا، غير مستريح القلب؛ بل قلبه مشتَّت، وبيَّن الشيخ ﷺ أنَّ التشتُّت الذي يحصُل لقلبه من جهات عديدة:

- منها: أن يكون خائفا من زوال هذه الخيرات، وقلِقٌ عليها، بل وكل شيء يُخيفه على أنَّها سترحل عنه.

- وأيضًا أن يكون مشتَّتا لكثرة المُعارِضات الناشئة عنها غالبًا؛ فهذه النِّعَم ينشأ عنها -في الغالب- معارِضات وحسد، -ومثلًا- دعاوَى وكَيد، أو.... أو... إلى آخره؛ فتكون هذه أيضًا مَجلَبة لكثيرٍ من المخاوف التي تُصيبه.

- وأيضًا من جهة ثالثة: أنَّ القَدْر الذي حصَّله من النِّعمة لا يكون قَنوعًا به،

ويشعر وكأنه لا يملك شيئا، ويريد أضعافًا مُضاعفة؛ فتكون نفسه متشوِّقة لأمور أخرى قد تحصُل وقد لا تحصُل، فيبقَى قلبه في اضطرابٍ لذلك.

فهذه الحال مع الخيرات.

أما مع المصائب والمكاره: المؤمن -كما تقدَّم- يتلقَّاها بالصبر، وبالمقاومة بالطرائق الشرعيَّة التي هَدَى إليها الكتاب والسُّنَّة.

وغيره يتلقَّى المكاره بالقلق، والجزع، والخوف، والضجر؛ فيترتَّب على ذلك: الشقاء وترحُّل السّعادة.

ويترتَّب على ذلك: الأمراض الفكريَّة الكثيرة، الخوف، المُزعجات، اضطراب القلب أو أوجاعه وآلامه.

وأخَذَ يضرب الشيخ بعض الأمثلة للتوضيح، فمثَّل بمثال وهو: «**إذا ابتُلِيَ بمرضٍ، أو فقرٍ**»: فذَكَر رحمه الله أنَّ حال المؤمن إذا ابتُلِيَ بالفقر أو بنحوه من الأعراض التي كلُّ أحد عُرضة لها؛ فإنَّه بإيمانه وبما عنده من القناعة والرِّضا وبما قَسَمَ الله له يكون قرير العين، مرتاح النفس، لا يتطلَّب بقلبه أمرًا لم يُقدَّر له؛ بل تجده يقول: «الحمد لله»، وعينه قريرة، ونفسه مرتاحة؛ لأنَّ الله عز وجل عوَّضَهُ بإيمانٍ يملأ قلبه ويملأ فؤاده، ويُؤنسه، لا تُوازيه ولا تُدانيه ولا تُقاربُه نِعَم الدنيا كلَّها.

وهو في الوقت نفسه ينظُر إلى مَن هو دونه، لا ينظُر إلى مَن هو فوقه، وهذا ممَّا هدَتْ إليه الشريعة، وسيذكُر ذلك الشيخ لاحقًا، والتوجيه إلى النظر إلى مَن

هو دونه:

فإذا كان فقيرا: لا ينظُر إلى الأغنياء؛ وإنَّما ينظُر إلى الأشدِّ فقرًا والأكثر عوزًا وحاجة؛ فإنَّه إذا كان هذا نظره ارتاحت نفسه واطمأنَّت.

وإذا نظَرَ إلى مَن هو فوقه: ازدرَى النِّعمة التي هو فيها.

فإذا نظَرَ إلى مَن هو دونه ولم ينظُر إلى مَن هو فوقه: ازدادَتْ بهجته وراحة نفسه.

بينما الذي لم يُؤتَ القناعة ولو كان أكثر من هذا مالًا بمراحل: فلزوال القناعة عنده يكثر الاضطراب عنده مهما أُوتِيَ من المال من الجهات التي سبَقَ أن أشار الشيخ إلى بعضها رحمه الله تعالى.

فالحاصل: أنَّ المؤمن في كل ابتلاء ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية: ٣٥]؛ كل ابتلاء فهو من خيرٍ إلى خير.

المَتْن

قال ﷺ: «**ومثلٌ آخر: إذا حدثَتْ أسباب الخوف، وألمَّتْ بالإنسان المُزعجات تجِدُ صحيح الإيمان ثابت القلب، مطمئنَّ النفس، متمكِّنًا من تدبيره وتسييره لهذا الأمر الذي دهَمَه بما هو في وِسْعه من فِكرٍ وقولٍ وعمل، قد وطَّنَ نفسه لهذا المُزعِجَ الملِمّ، وهذه أحوالٌ تُرِيح الإنسان وتُثبِّتُ فؤاده.**

كما تجدُ فاقدَ الإيمان بعكس هذه الحال؛ إذا وقعَتْ المخاوف انزعج لها ضميره، وتوتَّرَتْ أعصابه، وتشتَّتت أفكاره، وداخَله الخوف والرُّعب، واجتمعَ

عليه الخوف الخارجيُّ، والقلق الباطنيُّ الذي لا يمكن التعبير عن كُنْهه.

وهذا النوع من الناس إن لم يحصُل لهم بعض الأسباب الطبيعيَّة التي تحتاج إلى تمرينٍ كثير؛ انهارَتْ قُواهُم، وتوتَّرَتْ أعصابهم؛ وذلك لفَقْد الإيمان الذي يحمل على الصبر، خصوصًا في المَحالِّ الحرجة، والأحوال المُحزنة المُزعجة.

فالبَرُّ والفاجرُ، والمؤمن والكافر يشتركان في جَلْب الشجاعة الاكتسابيَّة، وفي الغريزة التي تُلطِّفُ المخاوف وتُهوِّنها؛ ولكن يتميَّز المؤمن بقوة إيمانه، وصبره وتوكُّله على الله واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه أمورًا تزداد بها شجاعته، وتُخفِّف عنه وطأة الخوف، وتُهوِّنُ عليه المصاعب؛ كما قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[سورة النساء، من الآية: ١٠٤]، ويحصُل له من معُونة الله ومعِينه الخاصّ ومدده ما يُبعثِرُ المَخاوف، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية: ٤٦]».

الشَّرْحُ

هذا مثال آخر يُوضِّح ما سبَق، وهو: أسباب الخوف التي قد تُلِمُّ بالإنسان، وتُفاجئه؛ فأحيانًا يُفاجِئ الإنسان أمور مُخِيفة، مُزعجة تجلب للقلب الخوف؛ فهذا الخوف يُذهِب عن القلب السّعادة والراحة والطُّمأنينة، فيحتاج إلى مقاومة.

فيقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صاحب الإيمان، وصحيح الإيمان في المخاوف «**ثابت القلب، مطمئنَّ النفس**»: والطُّمأنينة التي في قلبه، والثبات الذي في قلبه سببه الإيمان الذي أعطاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إيَّاه.

ولهذا الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَا ﴾ [سورة التوبة، من الآية: ٥١]؛ فالمؤمن في طُمأنينة في المخاوف، لأنَّه لن يصيبه إلَّا ما كتبَه الله له، وهذه المصائب عند المؤمن يعتبرها - كما دلَّتْ النصوص - كفَّارات(١)، ويتلقَّاها بالصبر فتعلُو بذلك الدرجات؛ فيحتسب في المصائب في المخاوف يحتسب ما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم هو في الوقت نفسه بسبب هذه الطُّمأنينة التي حصلَتْ له في المخاوف بالإيمان يستطيع أن يُدبِّر، ويُفكِّر:

كيف الحل؟

وكيف المَخرَج؟

وكيف يتخلَّص من هذا الموقف، أو هذه الشِّدَّة، أو هذا الأمر المخُوف؟

---

(١) منها: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ، وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ؛ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» رواه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣).

وعن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَي النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ؛ يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِي عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٢٣٩٨)، وَابْنُ مَاجَه (٤٠٢٣)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح ابْنِ مَاجَه» (٣٢٤٩).

فتتيسَّر بتيسير الله ﷻ له أسبابًا يتخطَّى بها هذا الأمر المخُوف المُزعِج.

وقد وطَّنَ نفسه أنَّ الأمر بيد الله، ولله ﷻ من قبل ومن بعد، وأنَّ نجاته وخلاصه إنَّما بيد الله؛ فيَزيده هذا المخُوف قُربًا من الله ولجوءًا إليه ﷻ وفزعًا.

كان النبي ﷺ إذا خاف قومًا قال: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ»[١].

فالمسلم قويّ الإيمان والمخاوف إنما تزِيده قُربًا من الله، ولجوءًا إلى الله، وانطراحا بين يدي الله ﷻ، وفزعًا إليه ﷻ؛ فيُهيِّئ الله له من أسباب النجاة والسلامة والعافية ما لا يحتسبه العبد.

بينما فاقد الإيمان بعكس ذلك؛ إذا وقعَتْ المخاوف، ليس هناك عنده إيمان يتلقَّى به هذه المخاوف؛ فيضطرب قلبه، وتتوتَّر أعصابه، ويتشتَّت فِكره، ويدخُله رُعب وخوف، ويجتمع عليه مثل ما قال الشيخ: (الخوف الخارجي، والقلق الباطني)؛ فهذه حاله عند ورود المخاوف.

فالذي يُحصُل للعبد النجاة من هذه المخاوف إنَّما:

- هو الإيمان.
- الثقة بالله.
- وحُسن اللجوء إلى الله.
- وطُمأنينة القلب بذِكْر الله.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٧٥).

- والفزع إلى الله ﷻ بالدعاء.
- واتِّخاذ الأسباب الشرعيَّة الصحيحة التي يُحصِّلها العبد بإيمانه بالله ﷻ.

قال الشيخ: (كما قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[سورة النساء، من الآية: ١٠٤])؛ هذه مِيزة للمؤمن في المخاوف والآلام والأوجاع يرجو ما عند الله.

ولهذا تكون المخاوف مثلًا، أو الأمور المُزعجة، أو المؤلمة كبيرة جدًّا؛ لكن هو في قلبه رجاء من الله أن يُعظِم له الأجر عليها فتهُون عليه؛ لأنَّه سيُحصِّل من ورائها خيرًا عظيمًا، وفضلًا عميمًا في دُنياه وأُخراه.

المَتْن

قال ﵀: «ومن الأسباب التي تُزيل الهمَّ والغمَّ والقلق:

الإحسان إلى الخَلْق بالقول والفِعل، وأنواع المعروف، وكلُّها خيرٌ وإحسان، وبها يدفَع الله عن البَرِّ والفاجر الهموم والغموم بحسبها.

ولكن للمؤمن منها أكمل الحظِّ والنَّصِيب، ويتميَّزُ بأنَّ إحسانه صادرٌ عن إخلاصٍ واحتسابٍ لثوابه فيُهوِّن الله عليه بَذْل المعروف لِمَا يرجوه من الخير، ويَدفَع عنه المكاره بإخلاصه واحتسابه؛ قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٤]؛ فأخبر تعالى أنَّ هذه الأمور كلَّها خيرٌ ممَّن صدَرَتْ منه، والخير يجلُبُ الخير ويدفَع الشرَّ،

وأنَّ المؤمن المحتسب يُؤتيه الله أجرًا عظيمًا.

ومن جُملة الأجر العظيم: زوال الهمِّ والغمِّ والأكدار، ونحوها».

الشَّرْحُ

هذا أيضًا من الأسباب العظيمة لإزالة الهموم والغموم والقلق والتوتُّرات.. إلى آخره.

(**الإحسان إلى الخَلْق بالقول والفِعل**)؛ فهذا بابٌ عظيم من أبواب السّعادة، وزوال الهمّ والقلق: أن يكون عند الإنسان هِمَّة في نَفْع الناس وإفادتهم، وتقديم وجوه الخير لهم:

- **القوليَّة**: بالكلمة الطيِّبة، بالنصيحة، بحُسن التوجيه، بالدلالة إلى الخير، بالسّلام، وطلاقة الوجه، وحُسن المُقابلة، بالترحيب..... إلى غير ذلك.
- **والفِعلية**: بأنواع الإحسان الفِعليَّة التي يتيسَّر له أن يُقدِّمها للناس.

يقول الشيخ: هذا الإحسان للخَلْق يدفَع الله به (**عن البَرِّ والفاجر الهموم والغموم بحسبها**)؛ يعني: بحسب ما يُقدِّمه المرء للعباد من الإحسان؛ لأنَّ الله ﷻ يُكافِئ هذا المُحسِن بالإحسان، مثل ما قال: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [سورة الرحمن، من الآية: ٦٠]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [سورة يونس، من الآية: ٢٦]؛ فيُجازيه الله ﷻ بإحسانه إلى عباد الله بأن يُحسن الله ﷻ إليه[1].

---

(١) فمن ثمار الإحسان في الدنيا انشراح الصدر والطمأنينة.. قال الإمام ابن القيم رحمه الله:
«ومنها: الإحسانُ إلى الخَلْق ونفعُهم بما يمكنه من المال، والجاهِ، والنفع بالبدن، وأنواع
=

ليس هذا فقط؛ بل حتَّى لو أحسَنَ إلى البهائم، ورحِمها، ورفَقَ بها، وأكرمها؛ فإنَّ الله ﷻ يُجازيه على هذا الإحسان بما لا يخطُر على بال العبد.

لكن المؤمن عندما يُحسِن إلى عباد الله، يصحَب النِّيَّة الصالحة الخالصة لله تعالى، والاحتساب لثواب الله ﷻ، مثل ما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الإنسان، من الآية: ٩]؛ يعني: يحتسب عند الله، ويرجو بذلك شيئًا عند الله ﷻ، ويُقدِّم الإحسان وهو يريد به ثواب الآخرة.

لكن الشخص الذي يُحسن ولا يريد ثواب الآخرة بهذا الإحسان، لم يعقد في قلبه الطمع في ثواب الآخرة، ولا يُحصِّل على هذا الإحسان إلَّا أمورا محدودة دُنيوية؛ لكن الآخرة لا بد أن يكون سعَى لها سعيَها، وقصَدَها بالعمل والإحسان الذي قدَّمه.

فالمؤمن يحتسب الثواب فيهُون عليه البَذْل؛ لأنَّه يرجو من الله العِوَض والخير في الدنيا والآخرة، وفَضْل الله ﷻ واسع، ويرجو أيضًا أن يرفَع الله عنه من المكاره بإخلاصه واحتسابه.

أورَدَ رَحمهُ الله تعالى هذه الآية الكريمة من [سورة النساء] وهي قول الله ﷻ: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ

الإحسان، فإن الكريم المحسنَ أشرحُ الناس صدراً، وأطيبُهم نفساً، وأنعمُهم قلباً، والبخيلُ الذى ليس فيه إحسان أضيقُ الناسِ صدراً، وأنكدُهم عيشاً، وأعظمُهم همًّا وغمًّا» «زاد المعاد» (٢/ ٢٥).

ٱلنَّاسِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٤]؛ قد يفعلها شخص يبتغِي بها وجه الله، وقد يفعلها ولا يبتغِي بها وجه الله، ولم يكُن في قلبه إخلاص أو طلب ما عند الله ﷻ؛ فالله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٤]؛ الصدقة، والمعروف، والإصلاح بين الناس هذه كلُّها خيرات.

لكن الذي يفعلها ابتغاء مرضاة الله، وطمعًا فيما عند الله؛ هذا الذي ينال ما ورد في قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٤]؛ فنَيْل الثواب من عند الله عزوجل، ونَيْل الجزاء موقوفٌ على النِّيَّة، كما قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»(١)؛ أي: مدارُها في القَبُول وعدمه على النِّيَّة، وفي الحديث القُدسي قال الله تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢).

فابتغاء مرضاة الله هذا أصل وأساس ينبغِي أن يُبنَى عليه كل إحسان، كل إحسان يقوم به الإنسان ينبغي أن يبنيه على هذا الأساس: أن يفعله ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثواب الله، ورجاء ما عند الله ﷻ.

فإذا وُجدَتْ هذه النِّيَّة الصالحة في قلبه؛ كثَّرَ الله قليله، وبارَكَ في إحسانه وجُهده، وأثابه عليه في أُخراه، وخَلَفَه عليه في دُنياه ﷻ، وأعطاه العِوَض؛ قال

---

(١) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).

ﷻ: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٤].

قال الشيخ: (**فأخبر تعالى أنَّ هذه الأمور كلَّها خيرٌ**)؛ الصدقة، الأمر بالمعروف، الإصلاح بين الناس؛ هذه كلُّها خير ممَّن صدرَتْ منه، والخير يجلب الخير ويدفَع الشرَّ.

قال: (**وأنَّ المؤمن المحتسب**)؛ أي: ما عند الله (**يُؤتيه الله أجرًا عظيمًا**).

(**ومن جُملة الأجر العظيم: زوال الهمِّ والغمِّ والأكدار، ونحوها**)؛ يعني: ممَّا يُجازيه الله، ويُثِيبه بهذه الخيرات التي قام بها يرجو بها ما عند الله ﷻ، يُكافئه الله بأن يُزِيل عنه الهمَّ والغمَّ والأكدار، والآلام التي قد تنتاب القلب.

المَتْن

قال ؒ: «**فصلٌ**:

ومن أسباب دفع القلق الناشئ عن توتر الأعصاب، واشتغال القلب ببعض المكدِّرات، الاشتغال بعمل من الأعمال، أو علمٍ من العلوم النافعة، فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه، وربَّما نَسِيَ بسبب ذلك الأسباب التي أوجبت له الهمَّ والغمَّ، ففرحت نفسه، وزاد نشاطه.

وهذا السبب أيضًا مشترك بين المؤمن وغيره؛ ولكن المؤمن يمتاز بإيمانه وإخلاصه واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلَّمه أو يعلمه، ويعمل الخير الذي يعلمه، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان شُغلًا دنيويًا أو عادة دنيوية أصحبها النية الصالحة، وقَصَد الاستعانة بذلك على طاعة الله، فلذلك أثره

الفعال في دفع الهمِّ والغموم والأحزان.

فكم من إنسان ابتلي بالقلق وملازمة الأكدار، فحلَّت به الأمراض المتنوعة فصار دواؤه الناجع: «نسيانه السبب الذي كدَّره وأقلقه، واشتغاله بعمل من مهماته.

وينبغي أن يكون الشغل الذي يشتغل فيه مما تأنس به النفس وتشتاقه؛ فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع، والله أعلم».

الشَّرحُ

من أسباب دفع البلاء أو دفع القلق والمُكدِّرات: عدم إشغال الذهن بها؛ لأن إشغال الذهن بها يزيد من قلق الإنسان، ويزيد من توتر أعصابه.

ولهذا من النافع كما ذكر رحمه الله تعالى للمسلم في هذا المقام: أن يشغل نفسه عن هذا الأمر المكدِر المقلِق له بأي عمل من الأعمال، سواء الأعمال الدِّينية والعبادات، أو العلم النافع، بأن ينشغل بقراءة ما ينفعه، أو بالأمور الدنيوية من حرفةٍ أو صنعةٍ أو غير ذلك من الأمور؛ فلا يبقى يسبح مع تلك الهموم فتزيد من توتره وتزيد من قلقه.

وهذا السبب الذي ذكر الشيخ ﵀ سبب عمليّ[1]، وهو سبب من الأسباب

(١) كان العلامة عبد الرحمن السعدي ﵀ يقول: «إن راحتي في مزاولة عملي» «علماء نجد» (٢/ ٤٣٩).

العملية التي بإذن الله ﷻ تنزاح به عن الإنسان الهموم؛ لأن المرء إذا وَقَفَ معها، ووسع لها المساحة في قلبه، أتعبته وأرَّقته وكدَّرته وعظم الكرب عنده؛ لكن إذا انشغل عنها نسِيَها، وذهبت ولم تبقَ شيئًا مقلقًا له، بل نفسه تفرح، ونشاطه يزداد، ونفسه تأنس وترتاح، وهذا السبب كما ذكر الشيخ رحمه الله مشترك بين المؤمن وغير المؤمن.

لكن المؤمن يختلف حتى في الأسباب الدنيوية؛ لأنه يحمل في قلبه نية صالحة، وإخلاصًا، واحتسابًا، ورجاءً لِمَا عند الله ﷻ فإذا اشتغل بأمر من الأمور الدنيوية واستصحب النية الصالحة، فإنه يؤجر على ذلك، ويدخل هذا في جملة عمله الصالح الذي يُثِيبُه الله ﷻ عليه.

وحاصل القول: أن القلق الذي يحصل للقلب هو بسبب وارداتٍ تَرِدُ عليه أقلقته، فمن الخير للمسلم أن يعمل على إيقاف هذه الواردات التي تُقْلِق القلب، وتَزِيدُ من انزعاجه، ويُدخل على القلب واردات أخرى تؤنسه، فيشغل نفسه بها عن تلك الأمور التي أقلقته، وبهذا تتحقق له الراحة والأنس بإذن الله ﷻ.

المَتْنُ

قال رحمه الله: «**ومما يُدفَع به الهمُّ والقلق: اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي.**

ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهمِّ والحَزَن؛ فالحزن على الأمور الماضية التي لا يمكن ردُّها ولا استدراكها، والهمُّ الذي يحدث بسبب الخوف من المستقبل؛

فيكون العبد ابن يومه، يجمع جِدَّه واجتهاده في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإنَّ جَمْعَ القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويَتَسلَّى به العبد عن الهمِّ والحزن.

والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء، فهو يحث مع الاستعانة بالله، والطمع في فضله، على الجِدِّ والاجتهاد في التحقُّق لحصول ما يدعو بحصوله، والتخلِّي عما كان يدعو لدفعه؛ لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده، ويستعينه على ذلك، كما قال ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاَللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١)؛ فجمع ﷺ بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال، والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعَجْزِ الذي هو الكسل الضار، وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة، ومشاهدة قضاء الله وقدره.

وجعل الأمور قسمين:

- قسمًا يمكن العبد السعي في تحصيله، أو تحصيل ما يمكن منه، أو دَفْعِهِ أو تخفيفه، فهذا يُبدي فيه العبد مجهوده ويستعين بمعبوده.
- وقسمًا لا يمكن فيه ذلك، فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلِّم.

ولا ريب أن مراعاة هذا الأصل سبب للسرور وزوال الهمّ والغمّ».

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

الشَّرْحُ

يقول رحمه الله: (**مما يُدفع به الهمّ والقلق: اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل، وعن الحزن على الوقت الماضي**)، هنا مسألة مهمة في دفع القلق، القلق كما شرط هو بسبب واردات ترد على القلب تؤلم القلب وتوجعه، هذه الواردات:

- إما أن يكون هناك أشياء حصلت في الماضي، فيستحضرها ويُوردها على نفسه؛ فيتألم لها ويتوجع قلبه، وهذا التألُّم والتوجُّع ليس من ورائه طائل، إلا إزعاج القلب.

- أو يتفكر في أمور مستقبلة ومخاوف مستقبلة؛ أيضًا ينزعج القلب من أجلها.

وهذان الأمران جاءت السُّنَّة بالتعوذ منهما «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَمِنَ الْحُزْنِ»، الحُزْن يتعلَّق بالماضي؛ الحُزْن هو: واردات ترد على القلب تتعلق بأشياء ماضية، يذكُرها القلب فيَحْزَن، وحُزنُه عليها ليس من ورائه طائل، وليس من ورائه منفعة[1]؛ فمن الخير له ألَّا يشتغل بها، وأن يستعيذ بالله من الحزن على أشياء مضت وفاتت وانتهى وقتها.

(١) كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان: أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه» «مدارج السالكين» (١/ ٥٠٦).

ومن يتعلق بالمستقبل قد يفكر بأشياء، وتأتي عليه مخاوف وأوهام «لعله يحصل كذا، أخشى أن يحصل كذا»، ويبدأ يَنزعج القلب ويَقلق، وهذا أيضًا جاءت الاستعاذة منه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ»؛ الهمُّ يتعلَّق بالأمور المستقبلة.

فغالبًا المُؤلمات للقلب المُكدِّرَات له:

- إما تتعلق بشيء ماض، وهو الحزن.
- أو تتعلق بشيء مستقبل، وهو الهمُّ.

فمن الخير للعبد ألَّا يَشغَل قلبه بهذا، وأن يستعيذ بالله دائمًا من الهمّ والحزن، والنبي ﷺ ثبت عنه في «الصحيح» الجَمْع في تعوذه بينهما، التعوذ بالله منهما قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُبْنِ وَمِنْ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ قَهْرِ الدَّينِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»[1]؛ جمع في تعوذه ﷺ بين الهَمِّ والحُزْنِ؛ الهَمُّ يتعلق بأمور مستقبلة، والحُزْن يتعلق بأمور ماضية.

إذًا من الخير له ألَّا يشتغل بالتفكيرِ في شيءٍ ماضٍ يستجلب بسببه أحزانًا وآلامًا لقلبه، ولا أن يشتغل أيضًا بهموم مستقبلة، ومخاوف يستجلب بها لنفسه

(١) رواه البخاري (٦٣٦٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «والمقصود أن النبي جعل الحزن مما يستعاذ منه، وذلك لأن الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن»«طريق الهجرتين» (ص٤١٩).

قلقًا لا حاجة للنفس إليه.

وانظر هذه الكلمة الجميلة التي ذكر رحمه الله قال: **(يكون العبد ابن يومه)**؛ لأن الماضي انتهى بعُجَرِهِ وبُجَرِه، بخيره وشره، إن كان خيرًا فاحمد الله، وإن كان خطأ أو تقصيرًا فاستغفر الله.

والمستقبل لا تدري ماذا تكون فيه؟ مثل ما قال ابن عمر رضي الله عنهما: «فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا»[1] يعني: هل تكون من الأحياء أو تكون من الأموات؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [سورة لقمان، من الآية: ٣٤]؛ فالغد بالنسبة للإنسان مستقبل، فلا تدري ما يكون شأنك فيه؛ فلا تشغل بالك بمكدِّراتٍ تتعلق بالمستقبل، فكن ابن يومك.

فانظر إلى وظيفة اليوم، وإلى عمل اليوم؛ لأنَّ هذه المكدِّرات إذا دخلت على القلب عطلته عن وظيفة اليوم، وعن عمل اليوم، وأصبح منشغلًا بها بدون فائدة، وأشغلته عن وظيفة يومه، فإذا ذكَّر نفسه أنه ابن يومه، يُولِّد هذا عنده أن يجمع قلبه على الجِدِّ والاجتهاد في إصلاح يومه ووقته الحاضر، فإن جَمْعَ القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، ويتسلَّى بها العبد عن الهَمِّ والحزن، عن الهَمِّ المتعلق بالمستقبل، وعن الحُزْنِ المتعلق بالماضي.

وهذا مستفاد من الحديث الذي سيشير إليه الشيخ بقوله رحمه الله: «**والنبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو أرشد أمته إلى دعاء فإنما يحث مع الاستعانة بالله والطمع في فضله**

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٣٤١).

على الجد والاجتهاد في التحقق لحصول ما يدعو بحصوله، والتخلي عما كان يدعو لدفعه»: هذه فائدة ثمينة جدًا، بل من أثمن الفوائد وأنفعها في باب الأدعية، وكثير من الناس يغفل عنها، فالشأن أن النبي ﷺ إذا دعا بدعاء أو وجه أمته إلى دعاء ما - والدعاء هو استعانة وطلب من الله - لكن مطلوب من المسلم مع الدعاء أن يبذل السبب.

وهنا قاعدة في باب الدعاء مهمة جدًا، وسأضرب على هذه القاعدة أمثلة توضحها:

مثلا: ورد في أدعية الصباح ما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ إذا سلم من صلاة الصبح قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»(١)، فلو أن إنسانًا صلَّى الفجر وبعد الصلاة قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»، ثم سحب وسادته ووضع رأسه عليها ونام إلى الظهر؛ أيأتيه العلم النافع ويُصَبُّ عليه في وسادته ورأسه عليها، أم أنه يحتاج إلى مجاهدة، ومصابرة، ومكابدة؟

ولذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»(٢)، وهكذا قُل في جميع الأدعية، فعندما يدعو الإنسان بدعاء ينبغي أن

---

(١) رواه ابن ماجه (٩٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٧٥٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٣٢٨).

يأخذ بالأسباب التي ينال بها هذا المطلوب؛ لأن الشريعة جاءَتْ ببَذْل السبب في الدعاء، والاستعانة والمجاهدة، مجاهدة النفس على العمل الصالح.

فهذه – الحقيقة – تعتبر قاعدة ثمينة جدًا في باب الدعاء «أن المسلم إذا دعا بدعاء، ينبغي عليه أن يُتبع الدعاء بذل السبب فيما يحقق به المطلوب».

قال العلامة السعدي رحمه الله: «**لأن الدعاء مقارن للعمل، فالعبد يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربه نجاح مقصده، ويستعينه على ذلك، كما قال ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاَللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[1]: فجَمَعَ ﷺ بين الأمرين:

«**اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»؛ أي: ببذل السبب.

«**مَا يَنْفَعُكَ**»؛ أي في دينك ودنياك من مصالحك الدِّينية والدنيوية، ابذل السبب واجتهد في تحصيلها، ولا تَرْكَن إليها وتعتمد عليها، بل استعن بالله سبحانه وتعالى.

«**وَلَا تَعْجَزْ**» أي: تجنَّب العجز، وتجنَّب الكسل، والخمول، والفتور، والتواني..... كل هذا تجنبه، وأَقبِلْ على أعمالك ومصالحك بنشاط وبجِدٍّ مستعينًا بالله سبحانه وتعالى.

«**وَإِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا**»: فأحيانًا لا تأتي الأمور على المطلوب، قد يخرج الإنسان في مصلحة –مثلًا– صحيحة نافعة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

مفيدة، ثم يتعرض له ما يقطعه عنها من أمور مقدَّرة.

فإذا حصل شيء من ذلك لا يقل: «**لو**»؛ فإنها تفتح عمل الشيطان، ولكن يقول: «**قدَّرَ الله وما شاء فَعَلَ**».

فهذا الحديث جَمَعَ فيه النبي ﷺ بين الحِرْص على الأمور النافعة مع الاستعانة بالله، وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة؛ الماضية يعني: مثل ما جاء في دعاء الهمّ «مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ»[1]، الماضية: النافذة، يعني: التي ليس عنها مَحِيص، وليس منها مَرَدٌّ، وهي وقعَتْ قدَّرَها الله.

فيأتي بالوظيفة التي تناسب هذا المقدر، الذي أصيب به؛ فيحتسب عند الله، ويصبر على مُصَابه على الألم الذي حصل له، أو البلوى التي حصلت، أو يحتسب عند الله ﷻ، ولله ﷻ في ابتلاءاته لعباده المؤمنين مِنَحٌ عظيمة لهم، يُكرِمُهُم الله ﷻ بِرِفْعَة الدرجات، وعُلُوِّ المنازل، وتكفير السَّيِّئات؛ فتتحقَّق بها مصالح عظيمة لهم.

يقول الشيخ ؒ: «**وجعل الأمور قسمين: قسمًا يمكن للعبد السعي في تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تخفيفه**» هذه الأشياء كلها يُبدي جُهده فيها، يَبذُل الأسباب ويجتهد في تحصيل ما يمكن تحصيله، في دفع ما يمكن دفعه، تخفيف ما يمكن تخفيفه، يجتهد في ذلك مستعينًا بالله.

«**وقسمًا لا يمكن فيه ذلك**»: طبعًا القسم الأول هذا يدل عليه «اِحْرِصْ عَلَى

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٣٧١٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٩).

مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ»، قسم «**لا يمكن فيه ذلك**»، هذا يدخل تحت «قدر الله وما شاء فعل»، فيرضى الإنسان بالذي قدره الله، ويرجو ما عند الله؛ قال: «**فهذا يطمئن له العبد ويرضى ويسلّم**»: مثل ما قال علقمة في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [سورة الطلاق، من الآية: ١١]، قال: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيسلّم لها ويرضَى»[1].

المَتْن

قال ﷺ : «**ومن أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطُمأنينته:**

○ الإكثار من ذكر الله: فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في انشراح الصدر وطمأنينته، وزوال همِّه وغمِّه، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، من الآية: ٢٨]؛ فلذكر الله أثرٌ عظيمٌ في حصول هذا المطلوب لخاصيته، ولِمَا يرجُوهُ العبد من ثوابه وأجره».

الشَّرْحُ

ذِكْر الله ﷻ من أعظم الأسباب الجالبة لانشراح الصدر، وأُنْس القلب وطُمَأنينته، كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد، من الآية: ٢٨]؛ فالذِّكْر بلا ريب طمأنينة للقلب.

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٤٢١).

ولهذا من أنفع ما يكون للعبد في همومه وغمومه وآلامه، أن يُكْثِر من ذِكْر الله ﷻ، والنبي ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»[(١)]؛ فهذا التوحيد والتهليل والذِّكْر لله ﷻ هو الطارد للكرب.

سر هذه المسألة: أن هذا القلب خُلِقَ لعبادة الله، وَلِيَنشغل بعبادة الله، فإذا شُغِل بأمورٍ أخرى قلق واضطرب؛ فدواؤه أن يعاد لِمَا خُلِقَ لأجله، وأن يُشْغَل بالشيء الذي خُلق لأجله وهو ذكر الله ﷻ.

وأعظم ما يكون الذِّكْر بالكلمات الأربع التي هي أحبُّ الكلام إلى الله «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[(٢)]، وهي من القرآن، فيُكْثِر من هذه الكلمات، ويُكثر أيضًا من تلاوة القرآن، والاستغفار، وغير ذلك.

فهذا إذا وُفِّقَ العبد له وانشغلت به نفسه؛ لم يبقَ عنده همٌّ مهما كَبُرَ حجم الهمّ؛ بل ينزاح ويزُول عن قلبه زوالًا تامًّا بإذن الله ﷻ.

ولهذا من أعظم ما تُستجلب أو يُستجلب به أنس القلب، وراحته، وسروره، وانشراح الصدر: الإكثار من ذكر الله ﷻ.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٠٣).

(٢) كما جاء في «صحيح مسلم» (٢١٣٧): عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ».

والذكر له فوائد عظيمة كثيرة جدًا، من أحسن من تكلم وعدد في فوائد الذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في مقدمة كتابه «الوابل الصيب»، قال في المقدمة: «وفي الذكر أكثر من مائة فائدة»[١]، وعدَّ رحمه الله ما يزيد على السبعين فائدة من فوائد الذِّكْر، من ضمن الفوائد التي عدَّها:

- أنه جالب لانشراح الصدر.
- وطارد للهموم، والغموم، والأحزان.

وفي السُّنَّة أدعية للكرب كثيرة جاءت – يعني – يُشْرَع أن يقولها المسلم عند الكرب، منها ما سيأتي عند الشيخ رحمه الله مثل: حديث أبي بكرة «دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[٢]، وجاءت أدعية عديدة منها: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لاَ إله إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»[٣].

فالحاصل: أنَّ الذِّكْر مفزع للمسلم في كرباته؛ يُكثر من ذكر الله عز وجل فتنزاح عنه الكُرَب، وتزول الهموم والغموم بإذن الله سبحانه وتعالى.

---

(١) «الوابل الصيب» (ص٦١).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٣).

المَتْنُ

قال ﵀: «وكذلك التَّحدُّث بنِعَمِ الله الظَّاهرة والباطنة؛ فإنَّ معرفتها والتحدُّث بها يدفع الله به الهمّ والغمّ، ويحُثُّ العبد على الشكر الذي هو أرفع المراتب وأعلاها، حتى ولو كان العبد في حالة فقر أو مرض أو غيرهما من أنواع البلايا؛ فإنه إذا قابل بين نِعَم الله عليه التي لا يُحصَى لها عدٌّ ولا حساب، وبين ما أصابه من مكروه؛ فلم يكن للمكروه إلى النعم نسبة.

بل المكروه والمصائب إذا ابتَلَى الله بها العبد، وأَدَّى فيها وظيفة الصبر والرِّضَى والتسليم، هانت وطأتها، وخفَّتْ مُؤنَتها، وكان تأَمُّل العبد لأجرها وثوابها والتعبُّد لله بالقيام بوظيفة الصبر والرضا، يَدَعُ الأشياء المرة حلوة؛ فتُنسيه حلاوةُ أجرها مرارةَ صبرها».

الشَّرْحُ

هذا أيضًا مهم في باب دفع الهموم والغموم والمكدرات «ذِكْر النِّعَم»؛ فعندما يَرِد على القلب أمر مُكدِّر؛ كالألم الذي يحصل للقلب بسبب هذا الأمر المُكدِّر.

لو أنَّ الإنسان في تلك الساعة أخذ يُورِد على قلبه النِّعَم التي عنده ويعدد، لخفف عليه مما يجد من الهمّ والغمّ، لذا كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقولون: «تعداد

النِّعَم من الشكر»[١] فالناس يتفاوتون في هذا، يعني: بعضهم عينه تتركَّز على المصائب والمتاعب فقط، وبعضهم تتركَّز عينه على النِّعَم؛ فهذا يرتاح بإذن الله.

مثلًا: بعض الناس إذا أدَّوْا الحج ورجعوا منه، فبعضهم يحب أن يتحدث عن المشاق التي حصلت له، ويبدأ يقول: «والله تعبنا في كذا، وحصل لنا كذا، وتنكدنا في كذا»، ويسردها واحدة واحدة ما يفوت منها شيئًا، وبعضهم ينشغل بذِكْر نعمة الله عليهم، والتيسير، والفضل، ويعدِّد من نِعَم الله.

ولهذا جاء في الأثر عن سلّام بن أبي مطيع قال: أتينا سعيد بن إياس الجريري، وكان من مشايخ أهل البصرة، وكان قَدِمَ من الحج، فجعل يقول: «أبلانا الله في سفرنا كذا، وأبلانا في سفرنا كذا، ثم قال: كان يقال إن تعداد النعم من الشكر»[٢]؛ أبلانا يعني: أكرمنا ومنَّ علينا.

الحاصل: كثير من الناس ينشغل بعد الحج بذِكْر المصائب والمتاعب والمشاق عن تَعْدَاد النِّعَم[٣]، تَعْدَادِ النِّعَم يُرِيح ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأعراف، من الآية: ٧٤]، ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة، من الآية: ٤٠]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة فاطر، من الآية: ٣]؛ ذِكْر النِّعْمة هذه راحةٌ

---

(١) انظر: «عدة الصابرين» (ص١١٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٠٠).

(٣) «التحف بالمأثور عن السلف» (ص٣٦) لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

وطمأنينة، وتَسْتجلب للقلب الشُّكرَ، والحمدَ والثناءَ على الله، والأُنس بالله.

فهذا بابٌ عظيمٌ جدًّا يُنبِّه عليه التحدُّث بنِعَم الله الظاهرة والباطنة؛ فإنَّ معرفتها والتحدُّث بها يدفع اللهُ به الهمَّ والغَمَّ.

فلمَّا يُبتلى الإنسان بمرضٍ معين أو أي بلاء، ويبدأ يَذْكُر نِعَمَ الله عليه، حتى في هذا المرض يرجو ما عند الله من نعمة، وتكفير، وتمحيص، ورِفعة درجات؛ فهذه كلُّها من الأمور التي تُسلِّي المرء في مصابه، وتدفع عنه أنواع البلايا.

فالحاصل: أنَّ ذِكْر النِّعَم وتعداد النِّعَم، واستجلابها للقلب، يدفع بإذن الله عن القلب آلامه وأحزانه وغير ذلك.

المَتْن

قال ﷺ: «**ومن أنفع الأشياء في هذا الموضع: استعمال ما أرشد إليه النبي ﷺ في الحديث الصحيح حيث قال: «أُنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»[1]؛ فإنَّ العبد إذا**

(١) رواه مسلم (٢٩٦٣).

قال الإمام النووي ﷺ: «قوله ﷺ: «**أُنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**» معنى أجدر: أحق، وتزدروا: تحقروا، قال ابن جرير وغيره: **هذا حديث جامع لأنواع من الخير**، لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه في الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود في غالب الناس، وأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من

=

نَصَبَ بين عينيه هذا المَلحَظ الجليل، رآه يفوق قطعًا كثيرًا من الخلق في العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه مهما بلغت به الحال؛ فيزول قلقه وهمه وغمه، ويزداد سروره واغتباطه بنِعَم الله التي فاق فيها غيره ممن هو دونه فيها.

وكلَّما طال تأمل العبد بنعم الله الظاهرة والباطنة، الدِّينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيرًا كثيرًا، ودفع عنه شرورًا متعددة، ولا شك أن هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجب الفرح والسرور».

الشَّرْحُ

هذا أيضًا نافع في هذا الباب نفعًا عظيمًا، وقد أرشد إليه النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أمر مهم جدًا، هذا في استجلاب السّعادة للقلب وطرد الهموم، يقول ﷺ: «اُنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»؛ هذه قاعدة مفيدة جدًّا، يعني: مفيدة للعبد في طرد ما قد يرد على قلبه من هم وحزن.

فمثلًا: إذا كان العبد يملك شيء ما، لكنّ الآخرين عندهم أفضل منه من الأمور الدنيوية:

فإن أخذ ينظر إليهم: بدأ قلبه يتألم، ويصيبه الوجع والحزن.

وإن نظر إلى من هُم أقل منه: يشعر بالنعمة العظيمة.

هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه فشكرها وتواضع وفعل فيه الخير» «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٨/ ٩٨).

مثلًا: إذا كان الإنسان معه سيارة تسير وتتعطل في الطريق، وفيها بعض النقائص، وأخذ ينظر إلى السيارات الجميلة القوية الجديدة؛ فإنه سيحزن ويتألم لذلك.

لكن إذا نظر إلى من لا يملكون سيارات أصلًا، وهو في المقابل عنده سيارة ويقضي بها مصالحه مع النقص الذي فيها، فإنه لا يزدري هذه النعمة:

١/ فإذا نظر إلى من هو أسفل منه: ارتاح.

٢/ وإذا نظر إلى من هو فوقه: تكدر.

إذًا لا خير في أن ينظر الإنسان إلى من هو فوقه.

فإذا نظر إلى الأشياء التي هي - يعني - أثمن أو أجود أو أحسن، جَلَبَ على نفسه همومًا لا حاجة إليها، وإذا نظر من هو دونه حمد الله على النعمة.

فالنظر الأول: واردٌ على القلب، ويجلب له ازدراء النعمة، وانتقاصها، وعدم شُكر المُنعِم.

والنظر الثاني: يجْلِب للقلب استشعار النعمة وحَمْد المُنْعِم؛ ومن المعلوم أن الحمد سببٌ للمزيد ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم، من الآية: ٧]، فأي خيرٍ في هذا النظر الذي لا يجلب للقلب إلا الألم، والحزن، والوجع.

ولهذا فمن الخير للعبد في هذا الباب أن ينظر إلى من هو أسفل منه، ولا ينظر إلى من هو فوقه؛ لأنه إن نظر إلى من هو فوقه ازدرى نعمة الله عليه، أمَّا إذا

نظَرَ إلى مَن هو دونه استشعر نعمة الله عليه، وحَمِدَ الله على النعمة، وكان حَمْدُه سببًا لمزيد فضل الله ﷻ عليه.

فأحيانًا بعض الناس يغبط من هو فوقه في نعمة دنيوية، وما يدري أنَّ صاحب تلك النعمة أيضًا يغبطه على شيء عنده.

أذكر من القصص التي سمعتها قديمًا، ولكنها مفيدة: أحد الأثرياء كان يملك قصورًا، ومزارعا، وأشياءً من هذا القبيل، بل وثري جدًا، لكنه في صحته مريض وعليل، ولا يأكل إلا أشياء محددة له، وفي المقابل كانت مزارعه مليئة بالثمار الطيبة، ولكن لا يستطيع أن يأكل منها شيئًا، وفي إحدى المرات وهو على شرفة القصر المطلة على بستان له نظر إلى أحد عماله في مزرعته، وفي الصباح الباكر جاء بزبدية لبن كبيرة وقطعة من الخبز أيضًا كبيرة، وجلس يعمل حتى السابعة أو السابعة والنصف، ثم استراح قليلًا وأخذ هذا الخبز يغمسه في هذا اللبن، ثم شرب الزبدية كاملة؛ وصاحب القصر ما يستطيع يفعل هذا لمرضه! لأن أكله محدد، فكان ينظر إليه ويقول: لو يعطيني صحته أعطيه ملكي كله، والعامل ربما يغبطه على هذه القصور والمزارع والممتلكات..

فالحاصل: أنَّ الإنسان ينبغي أن يذكر نعمة الله عليه، وينظر دائمًا إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه؛ لأنَّ نظره إلى من فوقه يجعله يزدري النعمة، بينما نظره إلى من هو دونه، يجعله يستحضر النعمة ويشكر المُنعِم.

المَتْن

قال رحمه الله: «فصل:

○ ومن الأسباب الموجبة للسّرور وزوال الهمّ والغمّ: السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور؛ وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردُّها، ومعرفته أن اشتغال فكره فيها من باب العبث والمحال، وأنَّ ذلك حمق وجنون؛ فيجاهد قلبه عن التفكر فيها.

وكذلك يجاهد قلبه عن قلقه لما يستقبله، ممَّا يتوهمه من فقر أو خوف أو غيرهما من المكاره التي يتخيَّلها في مستقبل حياته، فيعلم أن الأمور المستقبلة مجهول ما يقع فيها من خير وشر وآمال وآلام، وأنها بيد العزيز الحكيم، ليس بيد العباد منها شيء إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها.

ويعلم العبد أنه إذا صرف فكره عن قلقه من أجل مستقبل أمره، واتَّكَلَ على ربه في إصلاحه، واطمأن إليه في ذلك إذا فعل ذلك اطمأن قلبه وصلُحَتْ أحواله، وزال عنه همه وقلقه».

الشَّرْحُ

هذا كذلك من الأسباب العظيمة لجلب السرور إلى القلب، وزوال الهمّ والغمّ عنه، وهو: أن يسعى العبد في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، وفي تحصيل الأسباب الجالبة للسرور.

وسبق التنبيه إلى أنَّ الهمَّ الذي يصيب القلب والغمّ هو بسبب الواردات،

فإذا أُدخلَتْ على القلب واردات تؤلمه تألَّم، وإذا أُدخلت على القلب واردات تفرحه فرح.

إذًا يجعل الإنسان لنفسه قاعدة في هذا الباب تنفعه بإذن الله، ألا وهي: أنه يعمل على أن يستجلب لقلبه الواردات التي تفرح القلب، وتؤنس القلب، ويحاول أن يطرد عن قلبه الواردات التي تؤلم القلب.

وغالبًا الواردات التي تؤلم القلب:

- إما أن تكون متعلقة بالماضي فهي الحزن.
- أو متعلقة بالمستقبل وهي الهمّ.
- أو تتعلق بحال الإنسان وهو الغمّ.

فمن الخير له أن يبعد هذه الواردات والاشتغال بها؛ لأنَّها ليس من ورائها أي نفع له، ويستجلب لقلبه مكانها الواردات النافعة التي تبهج القلب، وتؤنسه، وتفرحه.

مثلًا: إن كان يتألم على فَقْدِ محبوب دنيوي يقول في نفسه: «الحمد الله الذي منَّ عليه بالإسلام، الحمد لله الذي منَّ عليه بالصحة، الحمد لله الذي منَّ...»، ويعدد نِعَم الله ﷻ عليه، يستجلب هذه الأشياء إلى قلبه، فيجد أن قلبه سَلَى وارتاح وأنس، وذهبت عنه همومه وآلامه وغمومه.



قال رحمه الله: **«ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور: استعمال هذا**

الدعاء الذي كان النبي ﷺ يدعو به: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(١).

الشَّرْحُ

هذا الدعاء عظيم جدًا؛ وهو ثابت في «صحيح مسلم» وهو من أنفع الأدعية وأجمعها لخير الدنيا والآخرة، وتأمَّل ما في هذا الدعاء من طلب الصلاح ثلاث مرات «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي.. أَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ.. أَصْلِحْ لِي آخِرَتِي..»؛ فينبغي على المسلم أن يحرص على هذا الدعاء ويكثر منه، وهو مستيقن أنه لن يصلح له شيء من دينه، ولا دنياه، ولا آخرته إلَّا إذا أصلحه الله ﷻ له؛ فصلاح شأن الإنسان كله بيد الله، ولا يمكن أن يصلح شيء منه إلَّا إذا أصلحه الله.

ولهذا يلحُّ على الله بهذا الدعاء العظيم «أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَالْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

وهذا الدعاء إذا استكثر منه الإنسان، يرى بإذن الله أثره على نفسه في حياته وفي أموره الدِّينية وأموره الدنيوية؛ لأنَّ هذا الدعاء فيه تفويض إلى الله، ولجوء إلى الله، وأن يصلح الله لعبده دينه ودنياه وأُخراه.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٠).

فإذا واظب عليه وأكثر منه سيرى أثره بإذن الله عليه في دِينه ودنياه، تصلح أموره الدنيوية وتصلح أموره الدِّينية؛ لأنَّ الأمر بيد الله ﷻ وإذا صدَقَ مع الله في دعائه، وأكثر من اللِّحاح على الله بهذا الدعاء، أعطاه الله سُؤله وحقق له رجاءه.

المَتْن

قال رحمه الله: «**وكذلك قوله: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[1]، فإذا لهَجَ العبد بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الدِّيني والدنيوي بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقِّقُ ذلك؛ حقَّقَ الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همه فرحًا وسرورًا**».

الشَّرْحُ

أيضًا هذا الدعاء «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، فقد ورد في «سنن أبي داود» من حديث أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ.....»، وذكر الدعاء، وتأمل دعوات المكروب، وذكر هذا الدعاء أن يقول: «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»، فهذا الدعاء قائم على التفويض والافتقار لله: «لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»، فأنا فقير إليك.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٨).

وبعض الناس يزيد «طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ»[(١)]؛ وهذا خطأ، لأن ما ذكر في الحديث يعتبر الأقل: «طَرْفَةَ عَيْنٍ»، يعني لا تكلني إلى نفسي لحظة واحدة، والأدعية النبوية مأثورة عن النبي ﷺ ما يحتاج أن يستدرك عليها الإنسان، ويضيف إليها إضافات لا حاجة إليها، بل تضعف من قوة بعض الأدعية في دلالاتها ومعانيها.

فـ «**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**»؛ أي: ولا لحظة واحدة.

قال: «**وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ**»: يشترك مع الدعاء السابق «**أَصْلِحْ لِي دِينِي..أَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ..أَصْلِحْ لِي آخِرَتِي..**»؛ فهنا قال: «**أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ**»: فهذا ينتظم مع الثلاثة كلها، لأن «شَأْنِي كُلَّهُ» يدخل الدين، والدنيا، والآخرة؛ ففي الدعاءين طلب الصلاح للمستقبل في أموره الدِّينية والدنيوية.

فإذا دعا مثل ما يقول الشيخ رحمه الله: (**بقلب حاضر، ونية صادقة، مع اجتهاده فيما يحقِّق ذلك**)؛ هذا يؤكد على القاعدة السابقة التي ذكر، وهي أن العبد إذا دعا، يعني مثلًا إذا قال: «أَصْلِحْ لِي دِينِي»؛ ما يجلس كسولًا؛ بل يقبل على أمور الدين والوظائف الدنيوية، ويجاهد نفسه على فعلها، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [سورة العنكبوت،

---

(١) انظر: مطوية بعنوان «زيادات لا أصل لها في أدعية مأثورة» (ص٢) لشيخنا عبد الرزاق ابن عبد المحسن البدر حفظه الله.

من الآية: ٦٩]؛ فإذا فعل ذلك حقق الله له ما رجاه، وييسر له ما دعا به.

وهذا الدعاء الذي في حديث أبي بكرة رضي الله عنه جاء بنحوه من حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي عليه الصلاة والسلام قال لابنته فاطمة رضي الله عنها: «يَا فَاطِمَةُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَقُولِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[1]، هذه اللفظة: «أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»، تشترك مع ما جاء في دعوة المكروب في حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

فأفاد من حديث أنس رضي الله عنه في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها أن من الوِرْد اليومي الذي يواظب عليه المسلم في صباحه ومسائه أن يسأل الله أن يصلح له شأنه كله، وألَّا يَكِلَه إلى نفسه طرفة عين، وهذا الدعاء هو في حقيقته تفويض، العبد يسلم نفسه إلى الله، ويفوِّض أمره إلى الله، ويعتمد عليه سبحانه وتعالى، ويعلن فقره إلى الله، وعدم غِنَاه عن ربه طرفة عين، ويسأل ربه أن يصلح له شأنه كله.

فعبدٌ كل يوم إذا أصبح فوَّضَ أمره، وأعلن افتقاره، وسأل ربه صلاح شأنه كله؛ لا يزال مع تجدُّد الأيام يجدد هذا التفويض والسؤال، بلا شك أنَّ أموره ستصلُح، وحاله تزيد، وأموره تطيب، وتتفتح له أبواب الخير، وتتيسَّر له تيسُّرًا ما يحسب له حساب، ولا يخطر له على بال، والفضل بيد الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء

(١) رواه النسائي في «سننه الكبرى» (١٠٤٠٥)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٧٠)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٧).

والله ذو الفضل العظيم.



قال ﵀: «فصلٌ:

ومن أنفع الأسباب لزوال القلق والهموم إذا حصَلَ على العبد من النَّكبات:

- أن يسعَى في تخفيفها بأن يُقدِّرَ أسوأ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر، ويُوطِّنُ على ذلك نفسه.

فإذا فعَلَ ذلك فَلْيسعَ إلى تخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان؛ فبهذا التوطِين، وبهذا السَّعْي النَّافع تزُول همومه وغمومه، ويكون بدل ذلك السَّعْي في جَلْب المنافع، وفي دَفْع المَضارِّ الميسورة للعبد.

فإذا حلَّتْ به أسباب الخوف، وأسباب الأسقام، وأسباب الفقر والعدم لِمَا يُحبُّه من المحبوبات المتنوِّعة؛ فَلْيتلقَّ ذلك بطمأنينةٍ وتوطِينٍ للنفس عليها، بل على أشدِّ ما يمكن منها؛ فإنَّ توطين النَّفس على احتمال المكاره يُهوِّنها، ويُزِيل شِدَّتها، وخصوصًا إذا أشغَلَ نفسه بمُدافعتها بحسب مقدوره.

فيجتمع في حقِّه توطِين النفس مع السَّعْي النَّافع الذي يَشغَل عن الاهتمام بالمصائب، ويُجاهِدُ نفسه على تجديد قوَّته المُقاوِمة للمكاره، مع اعتماده في ذلك على الله وحُسن الثِّقة به.

ولا ريب أنَّ لهذه الأمور فائدتها العُظمَى في حصول السرور وانشراح الصدور، مع ما يُؤمِّله العبد من الثواب العاجل والآجل، وهذا مُشاهَدٌ مُجرَّبٌ، ووقائعه ممَّن جرَّبه كثيرةٌ جدًّا».

الشَّرْحُ

هذا فصل آخر وضَّح فيه الشيخ رحمه الله تعالى سببًا آخر من الأسباب التي يُدفَع بها القلق والهمّ والغمّ الذي قد يُؤلِم القلوب، ويَلحَق بها، وذلك عندما يُصاب الإنسان بنكبة، وعندما يُصاب بمصيبة لا شكَّ أنَّ المصيبة قد تُحدِث له همًّا، وتُحدِث له قلقًا.

فمطلوبٌ منه في تلك اللحظة أن يستجلب إلى قلبه ما يَدفَع عنه الهمّ والقلق؛ لأنَّ الهمَّ والقلق بقاؤه في النفس لا نفع فيه؛ ولا فائدة، ومرَّ معنا أنَّ النبيَّ ﷺ كان يستعِيذ بالله من الهمِّ ومن الحُزن.

فإذا ابتُلِيَ الإنسان بمصيبة، وآلَمَتْ قلبه وأحزنته؛ عليه أن يجلِب إلى قلبه أسبابًا تدفع عنه هذا الهمَّ، وتطرُد عنه هذا الغمَّ.

فيقول الشيخ رحمه الله: «**إذا حصَلَ على العبد من النَّكبات: أن يسعَى في تخفيفها بأن يُقدِّرَ أسوأ الاحتمالات التي ينتهِي إليها الأمر**»؛ يعني: لو نضرب مثالًا على ذلك للتوضيح -يعني-: شخصٌ في سيارته حصل له حادث، وتألَّم وأصبح في قلبه قلق وهمٌّ على هذا الشيء الذي حصل، لو يُقدِّر في هذه الحالة أسوء الاحتمالات لقال: الحمد لله، لأن في مثل هذه الحوادث من الناس من يموت أو يصاب بكسور أو شلل، وأنا سليم في صحتي.

ولهذا بعض الناس في مثل هذا يقولون: «في الحديد ولا في الأشخاص».

هذا هو نفس المعنى الذي يُشِير إليه الشيخ رحمه الله: «**يقّدِر أسوأ الاحتمالات**»؛

فإذا قدَّر الإنسان أسوأ الاحتمالات يجد أنَّ الحالة التي حصَلَتْ له أهوَن من غيرها، ودُفِعَ عنه من الشرِّ والمُصاب ما هو أعظم من الذي حصل؛ فيجد أنَّه بهذه الطريقة تخِف عليه، ويخفُّ عليه الألم.

ثم إذا فعَلَ ذلك عليه بعد ذلك أن يسعَى إلى «**تخفيف ما يمكن تخفيفه بحسب الإمكان، فبهذا التوطين وبهذا السعي النافع**»: فتزُول الهموم، يعني: يجمع بين أمرين:

الأمر الأول: يُقدِّر أسوأ الاحتمالات، ويَحمد الله ﷻ أنَّ الذي حصَلَ له أخف من غيره.

العوام يقولون في مثل هذا الموطن كلمة جميلة، يقولون للأشخاص الذين يصابون بمثل هذه الأمور: «ما دفَعَ الله كان أعظم من هذا الأمر»؛ يعني: دُفِعَ عنك أعظَم من هذا الشيء.

فالإنسان إذا قدَّر أسوأ الاحتمالات يَحمَد الله ﷻ أنَّ الحال التي حصلَتْ له حالة يسيرة خفيفة أخفّ من غيرها.

والأمر الثاني: يَجمَع مع ذلك أن يبذُل السبب في رَفْع المَضار التي حصلَتْ، وجَلْب المنافع.

أيضًا في إصابته بأسباب الخوف أو أسباب الأسقام أو أسباب الفقر أو الفَقْد لِمَا يحبّ من المحبوبات؛ عليه أن يتلقَّى كلَّ هذه الأشياء بطمأنينة القلب، وتوطين النفس عليها، يُوطِّن نفسه على كل حال.

والنِّعَم لا تدُوم، والأحوال تتغيَّر؛ فيُوطِّن الإنسان نفسه على كلِّ حال، وَلْيعلم أنَّ هذه الدار الدنيا دار ابتلاء، والعبد عُرضة للبلاء في أي لحظة ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية: ٣٥]؛ فيُوطِّن نفسه على الابتلاء بفَقْد محبوب، أو حصول مرهوب أو غير ذلك، فيُوطِّن نفسه، فيتلقَّى ما يُصيبه بنفسٍ مطمئنَّة، ونفسٍ راضية بقضاء الله، وهو على يقين أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه وما أخطأه لم يكن ليُصيبه؛ قال الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [سورة التغابن، من الآية: ١١].

المَتْن

قال رحمه الله: «**فصلٌ:**

ومن أعظم العلاجات لأمراض القلب العصبيَّة، بل وأيضًا للأمراض البدنيَّة:

- **قوة القلب وعدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات التي تجلبها الأفكار السيِّئة.**

لأنَّ الإنسان متى ما استسلَمَ للخيالات، وانفعل قلبه للمؤثِّرات من الخوف من الأمراض وغيرها، ومن الغضب والتشوُّش من الأسباب المؤلمة، ومن توقُّع حدوث المكاره وزوال المَحابِّ؛ أوقَعه ذلك في الهموم والغموم والأمراض القلبية والبدنيَّة، والانهيار العصبي الذي له آثاره السيِّئة التي قد شاهَدَ الناس مضارَّها الكثيرة».

الشَّرْحُ

هذه أيضًا مسألة مهمة جدًّا في باب «دَفْع القلق»؛ يحتاج المرء أن يعمَل على تقوية قلبه، وطريقة تقوية القلب هي أمر واحد: يُقوِّيه بالإيمان، لا يمكن أن يتقوَّى القلب إلَّا بالإيمان، بالثقة بالله، بالتوكُّل على الله ﷻ، بالتفويض إلى الله جَلَّ وَعَلَا بالتسليم لقضاء الله؛ فالعبد بحاجة إلى تقوية القلب.

فتقوية القلب: تكون بالعلم، وبقراءة القرآن، وقراءة أعمال القلوب، لأن أعمال القلوب مهم جدًّا التفقه فيها، حتى يُقوِّي المسلم قلبه بتلك الأعمال:

- يُقوِّي قلبه بالتوكُّل.
- يُقوِّي قلبه باليقين.
- يُقوِّي قلبه بالثقة بالله.
- يُقوِّي قلبه بالتفويض إلى الله ﷻ.
- يُقوِّي قلبه بالرجاء فيما عند الله ﷻ.
- يُقوِّي قلبه بالثِّقة بدِفاع الله عن عبده المؤمن.

فيُقوِّي قلبه بهذه الأعمال القلبية العظيمة.

وتقوية القلب بهذه الأشياء يحتاج أن يقرأ في فضائلها - كما سبق - ويقرأ في النصوص الواردة فيها، ويقرأ في ثِمارها وآثارها حتى تدخُل وتتمكَّن من قلبه.

فإذا كان القلب قويًّا: تندفع هذه الأشياء، وتزُول بإذن الله ﷻ.

وإذا كان القلب ضعيفًا: ينزعج عند المصائب، وينفعل مع الأوهام

والخيالات، وما يَرِد على القلب من الأفكار السيِّئة.

فبعض الناس لضَعْف قلبه تُؤرِّقه الأفكار السيِّئة، وقد تمنعه من النوم، وتمنعه من الراحة، لا لشيء إلَّا لمجرد أفكار سيِّئة وردَتْ إلى قلبه، وتوهُّمات يبنِي عليها أشياءً؛ فيَمرَض بسبب ذلك، رغم أنها مجرَّد أوهام فقط، فإنها تُزعِجه وتقلقه، وتُكدِّر خاطره، وتُذهِب عنه الراحة والنوم، وما هي إلَّا أوهام، وهذه الأوهام ليس لها علاج إلَّا تقوية القلب.

فتقوية القلب تكون بـ:

- الإيمان.
- الثقة بالله.
- والتوكُّل على الله سبحانه وتعالى.

إذا لم يَعمَل المرء على تقوية قلبه؛ فهذه الأوهام من أشد الأمراض التي تصيب العبد، بل قد تحدث له انهيارا عصبيا إذا لم يستعن بالله ويتوكل عليه.

المَتْن

قال رحمه الله: «**ومتى اعتمد القلب على الله، وتوكَّل عليه، ولم يستسلِم للأوهام، ولا مَلَكتْه الخيالات السيِّئة، ووَثِقَ بالله وطمِعَ في فَضْله اندفعَتْ عنه بذلك الهموم والغموم، وزالَتْ عنه كثيرٌ من الأسقام البدنيَّة والقلبيَّة، وحصَلَ للقلب من القوَّة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فكم مُلِئَتْ المستشفيات من مرضَى الأوهام والخيالات الفاسدة!**

وكم أثَّرتْ هذه الأمور على قلوب كثيرٍ من الأقوياء فضلًا عن الضُّعفاء!

وكم أدَّتْ إلى الحمق والجنون!

والمعافَى مَن عافاه الله وفَّقه لجهاد نفسه لتحصيل الأسباب النافعة المقوِّية للقلب، الدافعة لقلقه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، من الآية: ٣]؛ أي: كافِيه جميع ما يُهِمُّه من أمر دِينه ودُنياه، فالمتوكِّل على الله قويُّ القلب لا تُؤثِّر فيه الأوهام، ولا تُزعجه الحوادث لعِلمه أنَّ ذلك من ضَعْف النفس، ومن الخَوَر والخوف الذي لا حقيقة له.

ويعلَم مع ذلك أنَّ الله قد تكفَّلَ لمَن توكَّل عليه بالكفاية التَّامَّة، فيثقُ بالله ويطمئنُّ لوَعْده؛ فيزُول همُّه وقلقه، ويتبدَّل عُسْره يُسرًا، وتَرَحه فرحًا، وخوفه أمنًا. فنسأله تعالى العافية، وأن يتفضَّل علينا بقوة القلب وثباته بالتوكُّل الكامل الذي تكفَّل الله لأهله بكل خير، ودَفْع كلِّ مكروهٍ وضَيْر».

الشَّرْحُ

آمين! يؤكِّد الشيخ هنا أيضًا على ما به يُقوَّى القلب، يعني: هذا الفصل يتحدَّث فيه عن علاج نافع للقلق، ودَفعه، وإبعاده عن النفس: أن يُقوِّي المرء قلبه.

وبيَّن رحمه الله أنَّ تقوية القلب تكون بتحصيل الأسباب النافعة المُقوِّية للقلب؛ لأنَّ القلب يحتاج إلى أسباب نافعة يحصُل له بها القوة، وقوة القلب:

- التوكُّل.

- والثقة بالله.
- الاستعانة بالله.
- بالصبر على قضاء الله.
- بالرضا بالله وعن الله.

إلى غير ذلك من الأعمال القلبية المهمة.

ولهذا كتَبَ غير واحد من أهل العلم في أعمال القلوب، فكانت كتابتهم في من أجل هذا الأمر، من أجل أن يُقوِّي الإنسان قلبه بالإيمان وخِصاله العظيمة.

فمتى اعتمدَ القلب على الله، وتوكَّل عليه، ووَثِق به، وحصلَتْ له قوة الإيمان لم يستسلم للأوهام، ولا مَلَكَتْه الخيالات السيِّئة التي أضرَّتْ بكثير من الناس! مثل ما يقول الشيخ: «**كم مُلِئَتْ المستشفيات من مرضَى الأوهام والخيالات الفاسدة**»: ما به عِلَّة إلَّا الوَهْم، والوهم -يعني-: مرضٌ جالبٌ لأمراضٍ كثيرة جدًّا، وليس للوَهْم علاج إلَّا تقوية القلب.

الشيخ ضرَبَ مثال من أعمال القلوب: التوكُّل، وأورَدَ الآية الكريمة ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، من الآية: ٣].

فالقلب القوي بالتوكل على الله ﷻ يحصل له دفاعا من الله ونصرة، وحفظا ووقاية من الشرور، وكفاية مما أهمه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، من الآية: ٣]، قال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية: ٣٦].

فقوله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: كافيه جميع ما أهمَّه من أمور دِينه ودُنياه، فالمتوكِّل على الله قويّ القلب.

إذًا التوكُّل من أعظم ما تكون به تقوية القلوب، وإذا حصلَتْ هذه القوة للقلب بالتوكُّل اندفعَتْ عن العبد المخاوف والمَضار.

وانظُر إلى الإرشاد النبوي العظيم لمَن خرَج من بيته، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَيَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»[(١)]؛ فماذا يُقال له؟ «هُدِيتَ... وكُفِيتَ... ووُقِيتَ»:

- هداية.
- وكِفاية.
- ووِقاية.

فهداية: لِمَا أحبَّ من خير.

ووقاية: ممَّا يخشَى من الضُّرِّ.

وكِفاية: لِمَا أهمَّه من أمرٍ خرَجَ لأجله لمصلحةٍ دِينيَّة أو دنيويَّة.

فالتوكُّل قوة للقلب، وإذا حصلَتْ هذه القوة زال عنه هذه الأمراض

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والتِّرمذي (٣٤٢٦)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٩).

والأوهام والمخاوف..... إلى غير ذلك.

حتى إنَّ المخاوف عندما تأتي لتُشوِّش على قلبه، قلبه بما عنده متوكِّل يقول: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [سورة التوبة، من الآية: ٥١].

المَتْن

قال ﷺ: «فصلٌ:

وفي قول النبي ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا خُلُقًا آخَرَ»[١]؛ فائدتان عظيمتان:

إحداهما: الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصَّاحب والمُعامَل، وكلُّ مَن بينك وبينه علاقَة واتِّصال، وأنَّه ينبغِي أن تُوطِّن نفسك على أنَّه لا بد أن يكون فيه عيبٌ أو نقصٌ أو أمرٌ تكرهه.

فإذا وجدتَ ذلك فقارِنْ بين هذا وبين ما يجب عليك أو ينبغِي لك من قوة الاتِّصال، والإبقاء على المحبَّة بتذكُّر ما فيه من المحاسن والمقاصد الخاصَّة والعامة، وبهذا الإغضاء عن المساوئ وملاحظة المحاسن تدُوم الصُّحبة والاتِّصال، وتتمُّ الراحة وتحصُل لك.

الفائدة الثانية: وهي زوال الهمِّ والقلق، وبقاء الصفاء، والمداومة على القيام بالحقوق الواجبة والمُستحبَّة، وحصول الراحة بين الطرفين.

ومَن لم يسترشِد بهذا الذي ذَكَره النبي ﷺ؛ بل عكَسَ القضيَّة فلَحَظَ

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

المساوئ وعمِيَ عن المحاسن؛ فلا بد أن يقلق، ولا بدَّ أن يتكدَّر ما بينه وبين مَن يتَّصِلُ به من المحبَّة، ويتقطَّعُ كثيرٌ من الحقوق التي على كلٍّ منهما المحافظة عليها.

وكثيرٌ من الناس ذوي الهمم العالية يُوطِّنون أنفُسهم عند وقوع الكوارث والمُزعِجات على الصبر والطُّمأنينة؛ لكن عند الأمور التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدَّر الصفاء.

والسبب في هذا: أنَّهم وطَّنوا نفوسهم عند الأمور الكِبار، وترَكُوها عند الأمور الصِّغار فضرَّتهم وأثَّرَتْ في راحتهم، فالحازم يُوطِّن نفسه على الأمور القليلة والكبيرة، ويسأل الله الإعانة عليها، وأن لا يكِلَه إلى نفسه طرفة عين؛ فعند ذلك يسهُل عليه الصغير كما سهُلَ عليه الكبير، ويبقَى مطمئنَّ النَّفس، ساكن القلب، مسترِيحًا».

الشَّرح

هذا الحديث عظيم جدًّا في باب «الوسائل المفيدة للحياة السعيدة» أفرَدَ فيه هذا الفصل، واستخلَصَ منه هاتين الفائدتين العظيمتين من هذا الحديث النبوي، وهو: قول النبي ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً**»: هذا نَهْي؛ نَهَى النبي ﷺ عن ذلك، أن يَفرَك مؤمنٌ مؤمنة.

الفَرْك: البُغض (فَرِكَ، يَفْرَك)؛ أي: أبغَض، يُبغِض؛ فمعنى «لَا يَفْرَكْ»؛ أي: لا يُبغِض مؤمنٌ مؤمنة.

والبُغْض الذي يكون من الزوج للزوجة، وما يتولَّد عن البُغْض من أشياء تُضعِف الحياة الزوجيَّة، وتوهِّيها مردُّه إلى بعض الصِّفات التي تكون في المرأة، أو الأخطاء التي تكون فيها، ويتركَّز عليها نظَر الزوج، إذا تركَّز نظَرَ الزوج على تلك الأخطاء أو المساوئ التي في المرأة يحصُل الفَرْك الذي هو البُغْض.

لكن إذا لم يتركَّز نظره على هذا الخطأ، أو تلك المساوئ المعيَّنة، ووسَّع نظَرَه إليها من جوانبها المختلفة؛ سيجِدُ أنَّ فيها صِفات كثيرة جدًّا يَحمَدها عليها، ويُحبُّها بسببها، ويأنَس إليها بها.

فهنا مشكلة يُداوِيها هذا الحديث، مشكلة تقع في كثير من البيوت: الفَرْك -الذي هو البُغْض-، والسبب فيه أنَّ نظَر المرء يرجِع إلى أو يتركَّز على أخطاء وتصرُّفات معيَّنة، وعلى سلوكيَّات خاطئة معيَّنة في الزوجة؛ فيحصُل الفَرْك -الذي هو البُغْض-، وربَّما أيضًا ترتَّب عليه حتَّى الطلاق.

وأحيانًا يحصُل الطلاق بسبب أنَّه يَفرَكْ زوجته لخطأ يسير جدًّا، يعني بعضهم -مثلًا- في يوم من الأيام تُخطِئ زوجته فتصنَع الطعام مالحًا، بغير إرادةٍ منها، أو سهوًا، أو خطأً؛ فما يتحمَّل، ويكون جائعًا وبحاجة إلى الطعام، ثم يُفاجأ بالطعام مالِحا؛ فما يَملك نفسه؛ فيُبغضها، وربَّما يترتَّب على ذلك الفَرْك الطلاق.

فالنبي ﷺ يقول: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا خُلُقًا آخَرَ**»؛ ما معنى «**إِنْ كَرِهَ خُلُقًا رَضِيَ آخَرَ**»؛ يعني: كأنَّه يقول ﷺ: لا تنظُر إلى هذا

الخطأ، أو إلى هذا الخُلُق السيء وحده؛ بل اِنظُر أيضًا إلى الأخلاق الطيِّبة، والأعمال الجميلة التي عندها، والمحاسن الكثيرة التي فيها، فإن نظرْتَ إلى الخطأ فقط حصَلَ الفَرْك؛ ولهذا ينبغِي أن يُوسِّع المرء النَّظر.

وأذكُر كلمة سمعتُها من الإمام ابن باز -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- في قصَّة شابٍّ يستفتيه، طلَّقَ زوجته لخطأ من هذه الأخطاء اليسيرة جدًّا، إمَّا بسبب طعام أو شيء من هذا القبيل؛ فقال له الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ-، وكان يُعيدها له أكثر من مرة، يقول له: «يا ابني، ما في حور عِين بالدنيا... ما في حُور عِين بالدنيا، الدنيا ليس فيها حُور عِين»؛ بمعنى: أنَّه لا بد أن يكون في المرأة قصور، لابد أن يكون لديها أخطاء، ولا بد أن يكون فيها بعض الأخلاق السيِّئة، وما تجد امرأة كاملة من كلِّ جوانبها ومن جميع أطرافها.

فهذا الحديث يُرشِد أو يفيد فائدتين عظيمتين مثل ما ذَكَرَ الشيخ:

الأُولى: «**الإرشاد إلى معاملة الزوجة والقريب والصَّاحب والمُعامَل، وكلُّ مَن بينك وبينه علَاقَة واتِّصال**»: هذه فائدة ولفتة جميلة يُنبِّه عليها الشيخ رحمه الله؛ فالحديث يتعلَّق بالزوجين: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً**»؛ زوج زوجه.

لكن الشيخ يرى أنَّها قاعدة في التعامُل عمومًا، مع الزوجة، مع الأولاد، مع الأصدقاء، مع الأصحاب، ومع المعامَلِين في البيع والشراء، أي: كل مَن بينك وبينه علاقة واتِّصال فطبِّق هذا الحديث النبوي.

فإن عِبْتَ فيه خُلُقا؛ لا تُركِّز نظرَك في هذا الخُلُق السيِّء أو الخطأ المعيَّن

الذي فيه، بل انظُر إلى جوانبه الأخرى، ووسِّع النظر فستجد أنَّك ترتاح ولا يُكدِّر صفوك هذا الخطأ.

لكن إذا تركَّز النظر على الخطأ لن يبقَى للإنسان، ولن يبقَى له قريب، ولن يبقَى له مُعامَل، ويصبِح متضجِّرًا من كل مَن يلقاه، ويضعُف صبره، ويضعُف احتماله، إلى غير ذلك من الأمور التي تترتَّب على فَقْد التعامُل بهذه القاعدة العظيمة المباركة.

«**الفائدة الثانية زوال الهمِّ والقلق**»: لأنَّ التركيز على أخطاء المُعامَلِين، ونظر الإنسان إليها يُصبِح في قلق دائم، يعني: تجلُب له تلك الأمور القلق لأنَّه أصبح نظره متركِّزًا عليها؛ فيُصبِح دائمًا في قلق، وفي همٍّ دائم، ويذهب الصفاء الذي بينه وبين إخوانه ومَن يُعاشِرهم، والمحبَّة لا تدُوم بينهم، والحقوق أيضًا لا تحصُل؛ بل يترتَّب على ذلك: تدابُر، وتقاطُع، وتهاجُر..... إلى آخر ذلك.

الشيخ رحمه الله أيضًا يُنبِّه على مسألة مهمة في هذا الباب: النبي ﷺ قال: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا خُلُقًا آخَرَ»؛ أرأيتُم لو أنَّ شخصًا عكَسَ القضيَّة، يعني: ينظُر إلى ماذا؟ ما ينظُر إلى المحاسن حتى تُهوِّن عليه المصائب، فيعكس القضيَّة، يعني: لو رأى شخصًا جميلًا في تعامُله، وفي أخلاقه، وفي أدبه؛ يذهب ويُفتِّش عن مساوئ له حتى يُبغضه.

يعني: بعض الناس عكَسَ القضية فلَحَظَ المساوئ وعمِيَ عن المحاسن؛ فلا بد أن يقلق، ولا بد أن يتكدَّر ما بينه وبين مَن يتَّصل به من المحبَّة، ويتقطَّع

كثير من الحقوق، حقوق الإيمان، الأخوَّة الإيمانيَّة، الرابطة، الصفاء، الإخاء ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [سورة الحجرات، من الآية: ١٠]؛ هذه كلَّها.

فبعض الناس يرى أخاه على أحسن ما يكون، يرى أخلاق جميلة، وتعامُل طيِّب فيذهب يُفتِّش ويُنقِّب عن مساوئ له حتَّى يُبغضه وينفُر منه، ويعكس الذي طُلِبَ منه أن يفعله في الحديث.

ثم أيضًا الشيخ يُنبِّه على مسألة مفيدة في موضوعنا هذا: بعض الناس قد وطَّن نفسه حتَّى وَصَفهم بـ «**ذوي الهمم العالية**»؛ وطَّن نفسه على الاحتمال للأشياء الكبيرة جدًّا، الكوارث المُزعجات؛ وطَّن نفسه على الصبر عليها؛ لكن الأشياء التافهة اليسيرة ما يحتملها.

يعني: يحتمل أمور كبيرة مزعجة، وإذا ولده الصغير في البيت كسَرَ كأسًا ينزعج أشدّ ما يكون، وهو في الخارج يحتمل أمورا كبيرة جدًّا وعظيمة، ما يحتملها إلَّا أصحاب الهِمم، ويأتي في البيت وطفله الصغير إن كسَرَ زجاجة أو عمِلَ خطأً تجده ينفعل، وتسوء حاله، ويقلق ويضطرب، وتُصبِح حاله في البيت سيِّئة من طفل صغير في براءة الطفولة، وخطأ معتاد يحصُل من الأطفال، فهذا أيضًا من الأشياء التي قد تقع.

فالمطلوب من الإنسان أن (**يُوطِّن نفسه على الأمور القليلة والكبيرة**)؛ مثل ما يقول الشيخ رحمه الله: (**ويسأل الله الإعانة عليها، وأن لا يكِلَه إلى نفسه طرفة عين**).

المَتْنُ

قال ﵀: «**فصلٌ:**

العاقل يعلَم أنَّ حياته الصحيحة حياة السّعادة والطُّمأنينة، وأنَّها قصيرةٌ جدًّا؛ فلا ينبغي له أن يُقصِّرها بالهمِّ والاسترسال مع الأكدار، فإنَّ ذلك ضدُّ الحياة الصحيحة؛ فيشحَّ بحياته أن يذهب كثيرٌ منه نَهْبًا للهموم والأكدار، ولا فرقَ في هذا بين البَرِّ والفاجر؛ ولكن المؤمن له من التحقُّق بهذا الوَصْف الحظ الأوفَر، والنصيب النافع العاجل والآجل».

الشَّرْحُ

هنا أيضًا من الأشياء التي تتحقَّق بها السّعادة.

إذا جاءت الأمور التي تُكدِّر الإنسان لا يُطوِّل معها، لا يستبقِيها في قلبه، ويُذكِّر نفسه أنَّ العُمر قصير جدًّا، ما يُقطِّع عُمره بهموم وغموم ليس من ورائها طائل، لا يُقطِّع عُمره بنكد وهموم وآلام، حتَّى إنَّ هذه الهموم تجلب له أمراضا، حتَّى بدنيَّة -يعني- مثل: أمراض الضَّغط، وارتفاع السكر، وأشياء من هذا القبِيل، كثير منها تأتي من هذه الأشياء.

فَلْيُهوِّن على نفسه، ويُوطِّنها، ومثل ما قال ﷺ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهِ، وَمَنْ يَتُوقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ»(١).

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» =

المَتْنُ

قال ﷺ: «وينبغي أيضًا إذا أصابه مكروهٌ أو خاف منه أن يُقارنَ بين بقية النِّعَم الحاصلة له دِينية ودُنيوية، وبين ما أصابه من مكروهٍ؛ فعند المقارنة يتَّضح كثرة ما هو فيه من النِّعَمِ، واضمحلال ما أصابه من المكاره.

وكذلك يُقارنُ بين ما يخافه من حدوث ضررٍ عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها؛ فلا يَدَعُ الاحتمال الضعيف يَغْلِبُ الاحتمالات الكثيرة القوية، وبذلك يزُول همُّه وخوفه، ويقدِّرُ أعظم ما يكون من الاحتمالات التي يمكن أن تصيبه؛ فيُوطِّن نفسه لحُدُوثها إنْ حدَثَتْ، ويسعى في دَفْعِ ما لم يقع منها، وفي رَفْعِ ما وَقَعَ أو تخفيفِه».

الشَّرْحُ

هنا أيضًا المُقارنة في النِّعَم التي تحصُل للعبد وبين المَصاب، هذه مفيدة جدًّا في تهوِين المَصاب، عندما يُصاب الإنسان بمصيبة فيترحَّل بذِهنه في عدِّ النِّعَم التي أنعَمَ الله عليه بها، تجده يتحوَّل من متألِّم على مُصاب إلى شاكر على النَّعماء، وحامد على الفَضْل والعطاء.

فهذه المقارنة مفيدة؛ المقارنة تكون بين النِّعَم والمصيبة، وتكون بين المصيبة والمصائب التي أكبر منها؛ فكلُّ هذا يُعَد توسِيع للنظر لأنَّ ضِيق النَّظر

.(٢٣٢٨)

ضِيق العطَن[١]، وضِيق النَّفْس، فإذا وسَّع الإنسان نظره حصَّل بإذن الله ﷻ خيرًا.

المَتْن

قال ﵀: «**ومن الأمور النافعة: أن تعرِفَ أنَّ أذِيَّةَ الناس لك - وخصوصًا في الأقوال السيئة - لا تضرُّك؛ بل تضُرُّهم، إلَّا إن أشغَلْتَ نفسكَ في الاهتمام بها، وسوَّغْتَ لَهَا أن تملِكَ مشاعرك؛ فعند ذلك تضُرُّك كما ضرَّتْهم، فإن أنتَ لم تضَع لها بالًا لم تضُرك شيئًا**».

الشَّرْح

مثل ما قال الشاعر:

ولقد أمُرُّ على اللئيم يسُبُّني فمَضَيْتُ ثمَّة قلتُ لا يعنِيني

إذا كان الإنسان بهذه الطريقة ما يضرُّه شَتْم الناس أو سبُّهم أو أذِيَّتهم؛ ولكن يضرُّه ذلك إذا وقَفَ واستمع وتخاصَمَ مع مَن سبَّه أو شاتَمَه؛ لكن إن أعرض مثل ما قال الله ﷻ في أجمَع آية في الخُلُق في [سورة الأعراف][٢]:

---

(١) «(العطن) مبرك الإبل، ومربض الغنم عند الماء. (ج) أعطان، ويقال ضربت الإبل بعطن: رويت وبركت، وضرب فلان بعطن: روى إبله ثم أقام على الماء، وفلان واسع العطن واسع الصبر والحيلة عند الشدائد سخي كثير المال؛ وضده: **ضيق العطن**» «المعجم الوسيط» (٢/ ٦٠٩).

(٢) قال العلامة السعدي ﵀: «هذه الآية الكريمة جامعة لمعاني حسن الخلق مع الناس، وما ينبغي للعبد سلوكه في معاملتهم ومعاشرتهم»«تيسير اللطيف المنان» (ص١٢١).

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٩٩]، ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان، من الآية: ٧٢]؛ يُكرمون أنفُسهم، ويُنزِّهُونها عن أن تتدنَّس بهذه الأشياء.

والشيخ هنا يُنبِّه على لطيفة مهمة في هذا الباب؛ يقول: أذيَّتهم لك لا تضرُّك، بل تضرُّهم هُم؛ أمَّا أنت بالعكس -يعني- تنفعُكَ أجورًا عند الله ﷻ، فسبُّهم لك، وشَتْمهم.... إلى آخره هي حسنات مُهداةٌ منهم إليك، هذه حقيقة الأمر. فالمُفلِس يأتي يوم القيامة وقد شتَمَ هذا، وضرَبَ هذا، وسفَكَ دم هذا؛ فيؤخَذ من حسناته فيُعطيهم[1]؛ فالحقيقة أنَّ سبه ظاهره سبٌّ وحقيقته حسنات مُهداةٌ منه إليك.

المَتْنُ

قال ؒ: **«واعلم أنَّ حياتك تبعٌ لأفكارِكَ، فإن كانت أفكارًا فيما يعُود عليك نَفْعه في دِينٍ أو دنيا؛ فحياتُك طيِّبة سعيدة، وإلَّا فالأمر بالعكس».**

---

(١) كما جاء في الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم (٢٥٨١).

الشَّرح

هذه فائدة -الحقيقة- ثمينة جدًّا، الشيخ رحمه الله يقول: «**حياتك تبعٌ لأفكارِكَ**»؛ يعني: انظُر للواردات التي تَرِد إلى القلب، فحياتك جميلة، طيِّبة، حسنة إذا كانت الواردات التي تستجلبها لقلبك واردات طيِّبة جميلة.

وتكون أيضًا العكس؛ حياة سيِّئة، نكِدة، مؤلمة، ضيِّقة..... إلى آخره، أيضًا بحسب الواردات، وبحسب الأفكار.

إذًا من الخير للإنسان أن لا يستجلب لقلبه إلَّا الأفكار الحسنة الطيِّبة، والأفكار السيِّئة إذا هجمَتْ على قلبه يدفعُها بسرعة، لا يُبقِيها في نفسه.

المَتن

قال رحمه الله : «**ومن أنفع الأمور لطَرْدِ الهَمِّ: أن تُوطِّنَ نفسَك على أن لا تطلُبَ الشُّكر إلَّا مِنَ الله، فإذا أحسنتَ إلى مَن له حقٌّ عليْكَ، أو مَن ليس له حقٌّ؛ فاعلم أنَّ هذا معاملة منك مع الله، فلا تُبَالِ بشُكر مَن أنعمْتَ عليه، كما قال تعالى في حق خواصِّ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٩]**».

الشَّرح

هذه فائدة يُنبِّه عليها الشيخ رحمه الله لأنَّ عدم التحقُّق بهذا الأمر الذي ذكَرَ رحمه الله يجلب للإنسان قلقا كبيرا جدًّا.

الإحسان إلى الناس: سواء الأقارب أو الأبناء أو حتى غيرهم، إذا كان الإنسان يُحسِن إليهم لا لشيء إلَّا لمنفعة يريدها منهم، مصلحة يطلُبها منهم، إذا فوجِئ وأحسن إليهم مرة أو مرتين ثم قابلوه بالإساءة؛ ماذا يحدُث له؟ يحدُث له ألم شديد وقلق، لأنَّه قدَّم إليهم إحسانا يرجو من ورائه شيئًا منهم، فحصَلَ ضدُّ ذلك، فيتألَّم ألمًا شديدًا.

لكن لو كان الشيء الذي قدمه إليهم لم يُقدِّمه إلَّا قُربة لله، لا يرجو شيئًا عليه إلَّا من الله ﷻ، فإذا حصل منهم لؤمٌ، أو سوءٌ، أو أذًى، أو نحو ذلك، يعرف أنَّ الإحسان الذي قدَّمه إليهم لا يضِيع عند الله؛ لأنَّه أصلًا قدَّمه لله، يتقرَّب به إلى الله ﷻ.

لكن إن كان قدَّمه لمنفعة يرجوها منهم، ثم حصل منهم خلاف ذلك، وكانوا لؤماء في تعامُلهم معه؛ فإنَّه يتعب، ويتألَّم ألمًا شديدًا.

ولها - يعني للتوضيح - شخصان: أحدهما أحسن إلى آخر، والآخر أيضًا أحسَن إلى آخر بمثل إحسان الأول؛ لكن الأول كان متقرِّبًا بهذا الإحسان إلى الله، والآخر يرجو منفعة، وقُدِّر أنَّ مَن أحسنوا إليهم كانوا لؤماء:

الأول: لا يتعب من لؤمهم أبدًا؛ لأنَّه يعرف أنَّ سَعْيه لم يضِع، بل هو عند الله مكتوبٌ له حسناتٌ وثوابٌ عند الله.

والآخر الذي لم يفعله قُربةً لله وإنَّما فعَلَه لمنفعةٍ يرجوها: فإنَّه يتعب، ويُصِيبه قلق شديد جدًّا.

فهذه فائدة مهمة في طَرْد الهمِّ، وهي أن يوطِّن المرء نفسه على ألَّا يطلُب الشُّكر إلَّا من الله.

«**فإذا أحسنتَ إلى مَن له حقٌّ عليْكَ**»: - مثلًا - من الأولاد أو الزوجة أو بعض الأقارب، أو نحو ذلك.

«**أو مَن ليس له حقٌّ**» عليك من عموم الناس.

«**فاعلم أنَّ هذا معاملة منك مع الله، فلا تُبَالِ بشُكر مَن أنعمْتَ عليه، كما قال تعالى في حق خواصِّ خَلْقِه:** ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٩]».

المَتْن

قال رحمه الله: «**ويتأكَّد هذا في مُعاملة الأهل والأولاد ومَن قَوِيَ اتِّصالك بهم، فمتى وَطَّنْتَ نفسَكَ على إِلْقَاءِ الشرِّ عنهم فقد أَرَحْتَ واستَرَحْتَ!**»

الشَّرْح

يقول: هذا الأمر «**يتأكَّد في معاملة الأهل والأولاد**»؛ هو مطلوب مع عموم الناس؛ لكنَّه مع الأهل والأولاد يتأكَّد.

«**ومَن قَوِيَ اتِّصالك بهم، فمتى وَطَّنْتَ نفسَكَ على إِلْقَاءِ الشرِّ عنهم فقد أَرَحْتَ واستَرَحْتَ**»؛ العبارة هكذا: «**إِلْقَاءِ الشرِّ عنهم**»، وراجعتُها في كثير من طبعات هذا الكتاب، وخاصة الطبعات الأُولى القديمة، ومنها الطبعة التي في حياة الشيخ؛ كلُّها جاءت بهذا اللفظ (**الشَّرِّ**).

وأعتقد أنَّ الصواب والله أعلم: أنَّ اللفظة «**فمتَى وطَّنْتَ نفسك على إلقاء الشَّرَهِ عنهم**»؛ الشَّرَه -معناه معروف-: الحِرص الشديد، وطلب الحق كاملًا، والحِرص على استِيفاء الحق كاملًا، والحِرص على اعتبار مقام الشخص ومكانته وحقوقه.

فإذا كان لا يُلقِي هذا الشَّرَه عنهم لا يرتاح؛ بل تجده عند أي خطأ يقلق جدًّا.

لكن إذا كان يُلقِي الشَّرَه، أي: لا يَشره على المخطئ، يتغافَل، يتجاوز؛ فهذا يرتاح ويُرِيح (**أَرَحْتَ واسترَحْتَ**):

(**استرَحْتَ**): في نفسك.

و(**أَرَحْتَ**): غيرك.

لكن إذا كان -مثلًا- الأب في البيت ينظُر إلى حقوقه الواجبة التي ينبغي أن تكون له من أولاده، ثم يجد أنَّ الأمور على خلاف ما يحبُّ:

إذا كان لا يُلقِي الشَّرَه: يتعَب جدًّا في بيته.

وإذا ألقَى الشَّرَه: ارتاح.

وثمة وسائل تُعِين على إلقاء الشَّرَه، فمثلا: أحد السَّلف يقول: «إنِّي لأعصِي الله؛ فأرى ذلك في خُلُق دابَّتِي وزوجتي»[1]؛ يعني: بدل أن يشرَه عليهم -مثلًا-،

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٩)، و«تاريخ دمشق» (٤٨/ ٣٨٣)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٢١٥).

ويجد -مثلًا- منهم معاملة غير سيِّئة، لو قال: (أستغفِرُ الله، هذا ربَّما من تقصيري، وهذا من ذنوبي)، واشتغل بالاستغفار بدل أن يشتغل بالشَّرَه مثلًا.

أو -مثلًا- يلُوم نفسه في التقصير وفي توجيههم، وفي نصحهم؛ فيلُوم نفسه مثلًا.

فثمة وسائل تُعِينه على ذلك.

لكن إن بَقِيَ مع الشَّرَه والتألُّم والتوجُّع دائمًا؛ هذا مَجلَبة للهموم والآلام.

والشيخ عبد الرحمن بن سعدِي ﵀ سيرته في هذه الخِصال عجب، يعني: هو يتحدَّث وكان هذا الأمر سِيرةً له. تذكُر ابنت الشيخ نورة حَفِظَهَا الله ﷻ ومتَّعها مَتاع الصالحين من عباده، وجزاها خيرًا، تذكُر أنَّ والدها كان هذا حاله في البيت، يعني: يتغافَل لمَّا يرى الأخطاء من أولاده، بل يتغافَل حتى كأنَّه ما رأى الخطأ، وما يلُوم ولا يُعاتب، وسيرته عجب في هذا الباب رحمه الله تعالى(١).

المَتْن

قال ﵀: «**ومن دواعي الراحة: أَخذ الفضائل والعمل عليها بحسب الدَّاعِي النَّفسي دون التَّكلُّف الذي يُقلقك، وتَعُود على أدراجك خائبًا من حصول الفضيلة، حيث سلكت الطريق الملتوي، وهذا من الحكمة، وأن تَتَّخذَ من**

---

(١) انظر: «مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي» (ص١٤٦).

الأمور الكدرة، أمورًا صافيةً حلوة؛ وبذلك يزيد صفاءُ اللَّذَّاتِ، وتزُولُ الأكدار».

الشَّرْحُ

يعني: في طلب الفضائل. أحيانًا طلب الفضائل مسألة قلق عند بعض الناس، قلق وهمّ وأرق؛ فيقول الشيخ: يعتدل الإنسان، يعني: يطلُب الفضائل لكن يطلُبها باعتدال، ويسلُك المسالك الصحيحة، ويبتعد عن المسالك الملتوية؛ وهذه من الحِكمة والراحة للنفس.

المَتْنُ

قال ﵀: «**اجعل الأمور النَّافعة نَصْبَ عَيْنَيْكَ، واعمل على تحقيقها، ولا تَلْتَفت إلى الأمور الضَّارة لتلْهُو بِذَلك عن الأسباب الجالِبَةِ للهَمِّ والحُزن، واستعِنْ بالرَّاحة، وإجْمامِ النَّفس على الأعمال المهمة**».

الشَّرْحُ

(**اجعل الأمور النَّافعة نَصْبَ عَيْنَيْكَ**)؛ هذه أيضًا قاعدة مهمة جدًّا، يعني: الإنسان دائمًا في حياته يجعل نَصْب عَيْنيه الأمور النافعة، هي مَطلبه، وهي مَقصده، وهي بُغيته، ويعمل على تحقيقها.

والأمور الضارة يحرص على تجنُّبها، والبُعد عن الأسباب المُفضية إليها.

إذًا... إذا فعَلَ ذلك يكون جلَبَ لنفسه الراحة، ودفَعَ عن نفسه الهمَّ والحُزن.

المَتن

قال ﷺ: «**ومن الأمور النافعة: حَسْمُ الأَعْمَال فِي الحَال والتفرُّغ للمستقبل؛ لأنَّ الأعمال إذا لم تُحسَم اجتمع عليك بقية الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة؛ فتَشتدُّ وطأتها، فإذا حَسَمْتَ كلَّ شيءٍ بوقته، أَتَيْتَ الأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل**».

الشَّرح

يعني: الإنسان إذا كان مُنظَّما ومرتَّبا في حياته، ويُنجِز عمله اليوم بيومه، ولا يُؤجِّل عمل اليوم إلى الغدّ؛ هذا يرتاح ويدفَع عن نفسه الهموم والغموم.

لكن إذا كان يُؤجِّل أعمال اليوم إلى الغد؛ يُصبح عمله في الغد عمل الأمس والغد، وإذا أجَّله أيضًا إلى يوم ثالث اجتمع، وإذا تكاثَرَتْ عليه الأعمال انقَطَع عنها كلِّها، وجلَبَ لنفسه الهمّ بهذه الطريقة.

لكن إذا كان كل يوم بيومه، يُنجز أعماله، وتجده في كل يوم في نشاطٍ جديد متجدِّد، وبأعمالٍ جديدة.

المَتن

قال ﷺ : «**وينبغي أن تتخَيَّر من الأعمال النَّافعة الأهمَّ فالأهم، وميِّز بين ما تَمِيلُ نفسك إليه وتشتدُّ رغبتك فيه، فإن ضدَّه يحدث السَّآمَة والمَلَلَ والكَدَرَ، واستعن على ذلك بالفكر الصحيح والمشاورة؛ فما نَدِمَ من استشار.**

وادرُسْ ما تريد فِعله درسًا دقيقًا، فإذا تحققَتْ المصلحة، وعزمْتَ فتوكَّل

على الله؛ إن الله يحب المتوكلين.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

الشَّرْحُ

يعني: أن الشيخ يُنبِّه هنا أيضًا على فائدة في هذا الباب: أن يكون الإنسان -وهي عائدة للتي قبلها- مُنظَّما، ومرتَّبا، ومحدِّدا أهدافه في كل أيامه، وتنظيمه لأعماله يبدأ بالأهم فالأهم، وأيضًا يُراعي الأعمال التي تمِيل إليها نفسه، وتشتدّ رغبته فيها؛ لأنَّه إذا كان يعمَل في أمورٍ لا تمِيل إليها نفسه يسأَم منها، ويَمَلُّ ويضجَر وينزعِج.

لكن يتخيَّر الأعمال الحسنة الطيِّبة التي تمِيل إليها نفسه وترتاح، ويأتي إليها بنشاط.

وإذا كان أيضًا يريد أن يُخطِّط ماذا يعمل؟ يستعِين بالفِكر الصحيح، يُفكِّر قبل أن يعمَل، ويُشاور أهل الخِبرة، وأهل الرأي، وأهل العقل، هل هذا العمل وهذا الطريق مناسب أم لا؟

وإذا استشار - وما نَدِم مَن استشار -، واستخار الله تعالى[1] - وما خاب مَن

(١) جاء في «صحيح البخاري» (٦٣٨٢): عَنْ جَابِرٍ ﵁ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، «إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ =

استخار-، ودرس في الموضوع الذي سيقوم به دراسة دقيقة جدًّا، وتوكَّل على الله وعزَمَ وفعَلَه؛ بإذن الله تكون أموره ناجحة وموفَّقة ومُسدَّدة(١).

نسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا أن ينفعنا أجمعِين، وأن يكتُبَ لنا السّعادة في الدنيا والآخرة، وأن يُصلح لنا شأننا كلَّه، وأن لا يكِلَنا إلى أنفُسنا طرفة عين. إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلَّى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ».

قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حَفِظَهُ اللهُ:

«ولا مانع إن لم يتيسر حفظها، واحتاج أن يستخير، أن يقرأها من ورقة تكون بيديه إلى أن يتمكن من حفظ هذه الدعوات المباركة..

وإذا دعا بعد السلام فله أن يرفع يديه وهو يدعو بهذه الدعوة؛ عملا بعموم الأدلة..» «شرح كفاية المتعبد» (ص٦٦).

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقال قتادة: ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم» «الوابل الصيب» (ص١٥٧).

مُحتويات الكتاب

اعتناءات المحقق على شروحات الشيخ عبد الرزاق البدر

١- شرح ثلاثة الأصول .

٢- شرح كشف الشبهات.

٣- شرح القواعد الأربع

٤- شرح الأصول الستة.

٥- شرح نواقض الإسلام.

٦- شرح واجبنا نحو ما أمرنا الله به.

٧- شرح تلقين أصول العقيدة للعامة.

٨- شرح فضل الإسلام.

٩- شرح مسائل الجاهلية.

١٠- شرح الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب.

١١- **شرح الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.**

١٢- شرح منهج يومي لطالب العلم للعلامة محمد بن صالح العثيمين.

١٣- شرح منظومة في علامات صحة القلب للعلامة سليمان بن سحمان.

صدر للمؤلف



